١٣١

روايات احلام

# لولا الأمل

www.elromancia.com
مرمورية

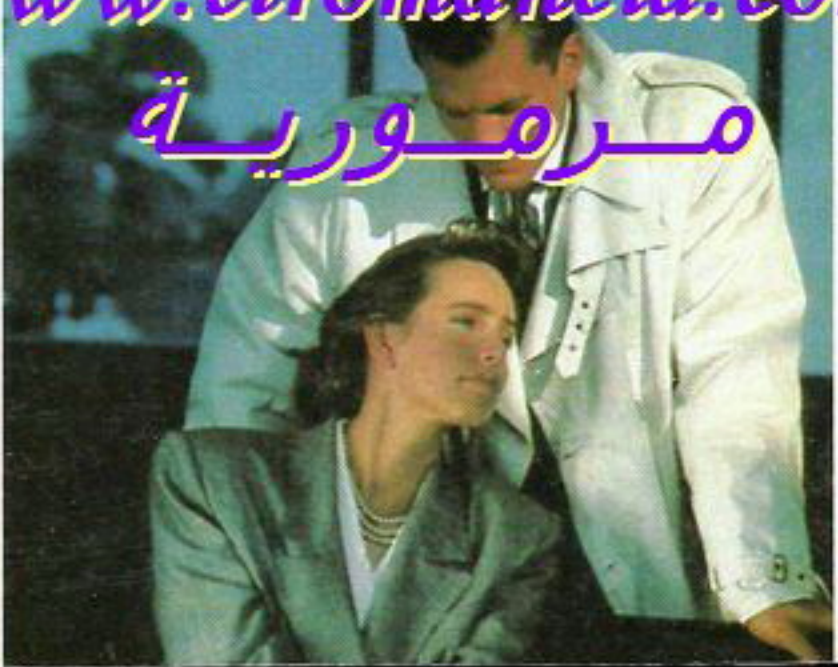

# روايات احلام

## لولا الأمل

ماذا تقول له لو سألها ؟ هل تقول له إنه سكن خيالها طيلة سبع سنوات ؟ هل تقول له إن أيامها ولياليها كانت صحراء قاحلة وهي تعيش على أمل مجنون أن يعود حبيبها المجهول الذي لا اسم له ولا عنوان ؟ ...

لن تستطيع كاريا أن تبوح بكلمة ، فغراين برينكلي عاد ليثأر من أبيها ولن يزعجه أن يكون ثأره على حساب كاريا ...

إذن ماذا بقي لكاريا غير أحلامها الميتة ؟ وهل تستطيع أن تقاومه بعدما عرفت نواياه ؟

www.elromancia.com


| | | | |
|---|---|---|---|
| لبنان ٢٠٠٠ ل.ل. | الإمارات ٦ د. | مصر ٤ ج. | ليبيا |
| سوريا ٥٠ ل.س. | قطر ٦٠٠ ر. | المغرب ١٥ د. | اليمن |
| الأردن ١ د. | البحرين ٦٠٠ ف. | تونس ١,٥ د. | السودان |
| الكويت ٥٠٠ ف. | السعودية ١٠ ر. | عمان ٦٠٠ ب. | العراق |

# ١ ـ خوف بلا اسم

سرعان ما عرفته كاريا.. لم تطمس سبع سنوات صورته من رأسها.. ولن تطمسه سبع سنوات أخرى.. فكرت في هذا وهي تشد على درابزين الرواق فوق الدرج حتى ابيضت أصابعها النحيلة.

الرجل الذي لا اسم له.. لم يكن له حساب في خيالاتها.. حتى وهي تحدق إليه من علٍ لم تستطع التفكير في اسم.. قد يكون جون، مايك أو دايڤد. لا تدري.. الرجل الذي غيّر اتجاه حياتها بشكل درامي قد يكون أبسط الناس.

إذن ما الذي يفعله هنا في عزبة «ريبورن» وفي يوم عقد قران والدها؟ لم تره في الكنيسة وما رأته في حفل الاستقبال الذي أقيم فوق مرج منزل العائلة قرب النهر.. لكنه هنا الآن.. إنه ضيف في الحفلة المسائية التي يقيمها والدها جاك نيكولز، الصناعي المعروف قبل سفره إلى «السيشل» في شهر العسل.

قال والدها وهو يقف إلى جانبها:

ـ هل رأيت أحداً أثار اهتمامك؟

وضع ذراعه حول كتفيها ثم لف لا إرادياً خصلة من شعرها الأسود الكهرماني حول أصابعه. نظر كلاهما من الرواق المرتفع إلى الردهة في الأسفل.. كانت أبواب الجناح الواسع الذي يحوي غرف

الاستقبال مفتوحة على مصراعيها، وفي الجو تصدح أنغام الموسيقى وتتعالى الضحكات والأحاديث.. حفلات جاك نيكولز هكذا دائماً، مريحة، غير رسمية، ودائماً، دائماً، ناجحة.

تنهدت مراوغة: «ليس حقاً».

لن تعترف أبداً أن الرجل الذي أثّر فيها كبير أثر والذي وصل لتوه متأبطاً ذراع دمية «باربي» حيّة، هو الذي يثير اهتمامها ولو قليلاً.. امنح جاك نيكولز شيئاً من تلميح وسرعان ما تراه يربط ابنته الوحيدة بالزواج!

تمتم جاك إلى جانبها:

ـ أمر مؤسف.. لم أفكر قطّ في أنني قد أتزوج قبل ابنتي.

ضحكت كاريا ودست ذراعها حول خصره.

ـ هس.. قد يظنني الناس ابنة غير شرعية.

مازحها والدها:

ـ كدت تكونين هكذا حبيبتي.. فوالدتك كانت تقول «جاك.. سيظن الناس أنني تزوجتك من أجل مالك..» كانت عاملة في معملي ولم تستطع قط أن تصدّق أن رب عملها وقع في غرامها.

أسندت كاريا رأسها عليه، وتمتمت:

ـ ليتني أتذكرها.. فكلامك يظهرها دوماً رائعة.

أدارت عينيها البنفسجيتين إلى الوجه الذي ما يزال وسيماً وسألت:

ـ هل فكرت فيها اليوم؟

اعترف بوقار: لم أستطع الحؤول دون ذلك.. وهل أستطيع؟ ولا أعتذر فجوليا على ما أعتقد تمر بالمشاعر عينها.. كان زواج كل منا سعيداً حتى تدخلت يد القدر.. عندما توفيت والدتك وأنت في



المهد أقسمت ألا أتزوج.. وكما تعرفين كانت جوليا أفضل صديقة لزوجتي، وحين مات زوجها احتاجت إليّ.

إنها الزوجة المثالية لأبيها.. وجهت كاريا اهتمامها إلى دفعة جديدة من الضيوف في الردهة. جوليا كوالدتها لن تسبب لجاك أوقاتاً عصيبة. ستكون الزوجة الوفية وستعرف مكانها في المنزل، ولن تتدخل أبداً، أبداً، في عمل جاك نيكولز وأمبراطوريته. تنهدت كاريا بينها وبين نفسها.. والدها المسكين الذي يحمل عبء ابنة ليست من ذاك النوع من النساء. وكم تتمنى لو كانت مثل أمها وجوليا إذن لكانت الحياة أبسط، ولما كانت تلك الجدالات الرهيبة القائمة بينها وبين والدها.

كان الرجل الذي لا تعرف اسمه والذي تعلقت به تلك الباربي قد رفع كوب عصير إلى شفتيه وبدا ضجراً.. لم تستطع كاريا إشاحة بصرها عنه فلاحظ والدها هذا.

قال وبريق غريب في عينيه السوداوين:

ـ اسمه غراين برينكلي.

انتفضت كاريا لهذا.. وفكرت في أن اسم غراين غير بشع أو قديم.

قالت بحدة: «ذوقه رهيب في النساء».

وعضت شفتها لأنها أثارت ريبة أبيها.

ضحك جاك نيكولز:

ـ أظنها ظريفة في الواقع.. إنما أعترف أنني دهش لأنه اصطحب امرأة إذ لم يرجع إلى البلاد إلا منذ أربع وعشرين ساعة.. وهذا وقت قصير يصعب على المرء فيه إقامة علاقة مع امرأة.

ردت كاريا: «لا أدري، إنه على ما يبدو سريع في عمله كله



www.elromancia.com

نشاط وحيوية.. ربما تعرف إليها في المطار أو في مكان ما».

أدار جاك ابنته عن الدرابزين ضاحكاً:

ـ هذا كثير يا عزيزتي.. تعالي لتتكلمي قليلاً مع جوليا قبل أن نسافر.

سرها أن تقوم بأي شيء إلا النزول إلى الأسفل لتقابل الوافدين الجدد، فسارت مع والدها في الممر العريض المفروش بالسجاد السميك إلى غرفة نومه حيث جوليا تستبدل ثياب العرس بأخرى عملية.

كانت مسرورة أيضاً لأن والدها لم يتطوع بسرد المزيد من المعلومات عن ذلك الرجل الخيالي.. إنها لا تريد معرفة سبب وجوده هنا كما لا تريد أن تعرف إن كان صديقاً لوالدها، بل هي غير راغبة أيضاً في معرفة العمل الذي يقوم به لأنها لم تتغلب قط على نبذه إياها في ذلك اليوم المثير منذ سبع سنوات.. آه! كم كان ذلك مؤلماً.. ولكنها مسرورة بطريقة ما بما حدث.. لا يعرف غراين برينكلي أنه المسؤول عن التغيير الذي طرأ على حياتها فغير سلوكها كله.. يومذاك دفعتها اتهاماته القاسية والاحتقار الذي أبداه لمثيلاتها إلى أن تبرهن لأي رجل مثله أنها ليست ساقطة أو ثرية مدللة وأنها ذات عقل راجح ونزعة مميزة للعمل، وهي متساوية مع أي رجل يدير مؤسسة.

المشكلة هي في إقناع أبيها بهذا.. فحتى بعد تأسيسها وكالة الإدارة والاستثمار الخاصة بها وجنيها من الأموال ما يفوق الرواتب التي يدفعها لمدرائه.. ما يزال عنيداً متشبثاً برأيه.. ما من امرأة تدخل مجلس الإدارة.. وبسبب رأيه ذاك أقسمت كاريا أن تكون ذات شأن.



صاحت كاريا حالما رأت زوجة أبيها الجميلة في الفستان البنفسجي الحريري وسترته المماثلة:

ـ جوليا.. يبدو عليك رائعاً!

حضنتها كاريا.. إنها تحب جوليا وهي سعيدة من أجلهما ولكن طالما كانت جوليا كالخالة لها، وما كان بالإمكان أن تتمنى عروساً أفضل لأبيها.. الأمر المؤسف الوحيد هو أن جوليا تشارك والدها الرأي بأن مكان المرأة بيتها.. كان من الأفضل لها لو حصلت على حليف يؤيدها ويحاول إقناع أبيها بأن بإمكانها أن تكون عضواً مهماً في مجلس إدارته.

سألت جوليا بلهفة:

ـ ألا تظنين أنني سأشعر بالحر فيه حين أصل؟

ضحكت كاريا: لهذا اخترناه.. بإمكانك خلع السترة حين تصلين.. لقد تصرفت طوال اليوم بهدوء جوليا.. فلماذا اللهفة الآن؟

برقت عيناها وغمزت زوجة أبيها بمكر:

ـ أتراك أدركت للتو ما فعلت؟ لقد تزوجت حقاً هذا الرجل.

وأشارت برأسها إلى أبيها الذي كان ينظر إلى عروسه الجديدة بفخر.

ضحك الثلاثة على هذا الكلام، وتنهدت جوليا برضى ثم نظرت إلى زوجها الجديد بحب عميق جعل كاريا تشعر بشيء من الحسد.. ليتها تجد شخصاً تحبه وتثق به.

ابتسمت جوليا بخجل:

ـ الواقع يا كاريا أنني لست مغرمة بالطيران كثيراً.. وجزر السيشل بعيدة جداً.. يروق لي في مثل هذا الوقت قضاء شهر العسل

في «برايتون».

ضحك جاك وأمسك بيديها:

ـ الآن حبيبتي.. تعرفين أنني أريد لك كل الخير، و «برايتون» لن تكون كافية.. لا داعي للقلق.. سيعتني جاك بكل شيء.

هذا بالضبط ما يلخص زواجهما أمام كاريا: جاك سيعتني بكل شيء! إنهما متحابان ولا شك في هذا.. ولكن جوليا بحاجة إلى جاك ليلطف لها حياتها.. وجاك يحتاج إلى من يحتاج إليه.. وهو واثق أن خوف جوليا من الطيران سيزول لأنه سيكون إلى جانبها.

نظر جاك إلى ساعته:

ـ حان وقت السفر.. كاريا إذا واجهتك أية مصاعب في المنزل فاتصلي بي في الفندق..

ردت كاريا بحزم: «لن أتصل أبداً، ففي المنزل من الخدم ما يكفي لإدارة سفينة حربية.. وأنا لا أتوقع أية مصاعب.. ثم لا تنسى أبي أن لدي عملاً أديره.. وإن وقع شيء هنا فعلى مديرة المنزل أن تحله لا أنا..»

صمتت بعدما لمحت نظرة تحذيرية في عيني جوليا، وهي على حق فليس الوقت مناسباً لإقامة معركة مع أبيها..

ـ آسفة أبي.

عقدت ذراعيها حول عنقه وضمته بشدة:

ـ إنه وقت شهر العسل.. انس أن ابنتك متحررة واستمتع.

ضمتهما وقبلتهما فما إن ينزلا إلى تحت حتى يصعب عليها الحصول على فرصة للوداع. توجه الثلاثة إلى الردهة يتوسطهما جاك نيكولز فارتفعت التحيات من هنا وهناك وما إن أصبحوا بين الضيوف حتى ابتعدت كاريا عن الزوجين السعيدين، فهذا الوقت هو وقتهما.



ذهبت إلى المطبخ الضخم الأميركي الطراز، حيث متعهدو الطعام يضعون اللمسات الأخيرة على المائدة المفتوحة.

سألت مديرة المنزل المتوسطة العمر:

ـ أكل شيء على ما يرام فيونا؟

ـ نعم.. إنما أتمنى أن تكون هذه الحفلة آخر حفلة شهدها هذا المنزل في هذه الفترة.

وتنهدت..

ـ اعتقدت أن حفل الاستقبال كاف دون الضيوف الباقين هنا.

عبست كاريا إذ لم يذكر لها والدها شيئاً عن مبيت بعض الضيوف هنا ليلاً.. ولكن الأمر مفهوم. بعضهم جاء من أمكنة بعيدة ليتمنى لوالدها السعادة.. وبما أن والدها مضياف فليس غريباً أن يبيت بعضهم هنا خاصة وأن مبيت الضيوف في عزبة ريبورن أمر عادي.

قالت ضاحكة: هذا هو الثمن الذي يجب أن ندفعه بسبب شهرة أبي..

عقدت ذراعها حول مديرة المنزل:

ـ أراهن أنك لم تتناولي فنجان شاي محترم طوال النهار؟ سأعدّ لك فنجاناً.

غاصت فيونا على الكرسي الخشبي ومررت ظاهر يدها على جبينها:

ـ أنت على حق.. أنا بحاجة إلى فنجان.

بعدما تأكدت كاريا من أن كل شيء يسير على ما يرام سحبت نفساً عميقاً ثم خرجت لتنضم إلى الضيوف في جناح غرف الاستقبال المصممة لتنفتح على بعضها بعضاً حتى تصبح غرفة واحدة

واسعة.. في القرن الماضي كانت قاعة رقص.. ولها في هذا القرن فائدة أيضاً.. فوالدها يستقبل الكثير من الناس ويقيم اجتماعات عمل في العزبة.. هكذا رأته للمرة الأولى.. غراين برينكلي الذي أصبح له اسم الآن.

ـ كاريا!

أديرت فجأة فتطايرت تنورة فستانها الحريري.

صاحت: «باري.. حبيبي!»

تمسكت به بشكل حميم لتدعم نفسها ولتحاول تهدئته في الوقت ذاته.. في تلك اللحظة تلاقت نظرتها بنظرة غراين برينكلي من فوق كتفي باري.. كان وحيداً هناك ولقد شاهدها، وتعرف إليها بلا ريب! امتقع وجهها بلون قرمزي كلون الفستان.. سيعرف الآن أنها لم تتغير قط.. وبسبب النظرة السوداء التي كان ينظر فيها إليها، عرفت أن لا مجال أمامها لإقناعه بالعكس.. ولكن هل تريد هذا؟ وسرعان ما نحته عن أفكارها.

ـ باري.. تبدو رائعاً.. يا لهذا اللون الأسمر الزاهي! كيف كان الكاريبي؟ لم أرك منذ سنة.. هل تعمل أم ماذا؟

كانت مسرورة فعلاً برؤيته لكنها كانت تعرف أن عيني غراين برينكلي لا تفارقانها. فجأة شعرت بأن قوى غامضة تحثها على التباهي كالمجنونة!

قال باري: «عمل! وما هذا؟»

حملها إلى باحة الرقص حيث أدركت الفرقة الموسيقية أنها أضجرت السامعين بموسيقاها الصاخبة فراحت تعزف الموسيقى الحالمة، وشدها إليه:

ـ بمناسبة الكلام عن العمل. أخبرني شخص ما أنك انخذت



لك عملاً صغيراً.. لا تقولي إن ملايين والدك بدأت تنفد وإن كاريا المسكينة مجبرة على العمل؟

تناهى من ورائهما صوت خفيض الوتيرة:

ـ اختيار غير موفق للكلمات يا بنيّ.. تظهر السيدة وكأنها من بنات الليل.

حرر غراين برينكلي كاريا من بين ذراعي باري بحركة سريعة وضمها بين ذراعيه.. أما باري فاصفر لونه:

ـ أنا.. لم أقصد.. عنيت.. لم أفكر في شيء كهذا..

أصبحت كاريا لا تسمع إلا ارتفاع أنفاس غراين برينكلي وهبوطها على أذنها.. تمازج النار والغضب فسرعا نبضاتها.. أبعدته عنها بدفعة واحدة ولكنه شد على معصميها..

قالت تدافع عن صديقها:

ـ لم يقصد باري شيئاً من هذا القبيل.. والآن رجاء دعني فأنا لم أرَ باري منذ سنة و..

قاطعها وعيناه الرماديتان لا تفارقان وجهها الرائع:

ـ ونحن لم نرَ بعضنا بعضاً منذ سبع.. وأنا واثق أن باري سيقبل اعتذاري ويبتعد ريثما نستعيد ذكريات أيامنا الماضية.

قال هذا برقة ومرح أجبرا باري على الابتسام ثم ربت على كتف غراين وتركهما.

تنهد غراين تنهيدة سرور أقسمت كاريا أنها مفتعلة ثم شدها برقة وحزم إلى ذراعيه.

قال هامساً في أذنها:

ـ إن المال والجلد السميك يأتيان غالباً معاً. لو كنت مكانه للكمت الخصم على فكه لأنه أخذ امرأتي مني.

تشنجت كاريا بين ذراعيه وقالت:

- لو ظننت أنني قادرة على اختراق «جلدك السميك» لضربتك حيث يؤلمك.. كما أنني لست امرأته..

- كنت امرأته منذ سبع سنوات.. لا تقولي إنه لم يجعل منك امرأة شريفة.

انتزعت نفسها منه وعيناها تشتعلان بنار الغضب بسبب الإحراج الذي جلبته الذكرى.. وعجزت عن الكلام.. وماذا تقول لرجل كهذا على أي حال؟ ارتدّت على عقبيها وتركته وسط حلبة الرقص.

انتهى بها المطاف على شرفة المنزل الصيفي.. وهل هناك سواها؟ إنها ملجؤها وملاذها منذ درجت وهناك قال لها والدها إن أمها صعدت إلى السماء.. وإلى هناك كانت تهرع هاربة حين لا تتمكن من تنفيذ ما تريد.. وفيما بعد، بعدما شق البلوغ طريقه إليها، دخنت أول سيكارة..

جلست غاضبة فوق الأريكة المتحركة فوق الشرفة الخشبية.. وأخذت تهز نفسها جيئة وذهاباً.. تنظر إلى النهر الجاري بلطف في أراضي العزبة.

في يوم كهذا رأته.. كان يوماً حاراً مشبعاً بالرطوبة.. في ذاك اليوم رأت ذلك الغريب الوسم الأسمر يدخل بسيارته من الأبواب الآلية في بداية الطريق الداخلية. كانت وباري قد أنهيا لعبة تنس وراحا يقهقهان ضاحكين على منظر الميني القديمة التي توقفت أمام المنزل.. زوج فيونا، جيليس، الذي يعمل كسائق وخادم استقبله بنظرة احتقار عنيدة، جعلت كاريا وباري يقهقهان أكثر فأكثر.. كان الغريب يرتدي سروالاً من الجينز والقطعة الوحيدة التي كانت تناسب الاجتماع الشهري الذي يعقده والدها هي قميص أبيض قصير



الأكمام، لكنه تجعّد بسبب حرارة ذلك اليوم.

قال باري مقهقهاً:

- لا أظنه من زملاء والدك في العمل؟ ربما هناك مشاكل في المصنع!

وقهقه مجدداً على نكتته.. لكن كاريا لم تستجب. فهي أحياناً تكون شديدة الحساسية فوالدها من الشمال وثراؤهم غير متوارث بل هو نتيجة كد وجهد وعمل شاق بدأ به جدها الأكبر الذي أسس معامل فولاذ نيكولز، ثم جدها وبعده والدها الذي عمل بكد وجهد لبناء شركة أصبحت الآن متحدة. ما زال لدى والدها لكنة أهل الشمال.. ولم تكن كاريا قد فكرت في هذا إلا بعدما ذكرت لها إحدى البنات في المدرسة الداخلية أن والدها ينعت «بالريفي القذر».. وقد لعبت المراهقة دورها لتفقد كاريا زمام نفسها ووثبت إلى عيني سونيا بلاكراين فآذتهما حتى اسودتا، ونالت العقوبة اللازمة ووجهت المدرسة رسالة احتجاج إلى والدها.. ولكنه لم يذكر لها هذا يوماً وما ذكرته هي له.. ولكن تلك الحادثة رسخت في نفسها فكرة بأنها لو ولدت وفي فمها ملعقة من ذهب كسونيا، لما تصرفت بغير لياقة أو احتشام ولمّا سددت اللكمات لها.

قال باري:

- تعالي.. سأسابقك حتى النهر..

- انتظرني باري.. سأذهب إلى المنزل لأرتدي ثوب السباحة.

- أراك عند المرسى إذن.. وأسرعي.. ستان وليز قادمان من «مارلو» للانضمام إلينا في غداء النزهة الذي وعدتنا به فيونا.

راقبته وهو يركض على الممر المرصوف بالحصى باتجاه المنزل الصيفي، إنه الابن الوحيد لجيرانهم آل أوكتور مالكو

الأراضي منذ العصور الوسطى.. وكان باري يقضي معظم وقته، ومعظم عطلات مدرسته في عزبة ريبورن مع كاريا.. بينهما أشياء كثيرة مشتركة.. فكلاهما يهوى التنس والسباحة ويهويان الأفلام نفسها وهي أفلام الرعب التي تجمد الدم في العروق.

لم تهتم بتغيير ثوب التنس الأبيض بل اختطفت المايوه ونزلت بسرعة على أمل أن تلقي نظرة إلى «العربن» الداخلي لتراه.. لكنها أصيبت بخيبة. أمل فارتدت إلى المطبخ لتتأكد أن جيليس سيحمل سلة الطعام إلى المنزل الصيفي.

كان خارجاً من الباب المزدوج للمطبخ وبيده كوب ماء بارد.. إنه الرجل الطويل الأسمر الغريب الذي بدا عن قرب أشد وسامة.. لم يكن الخجل إحدى ميزاتها ففتحت فمها لتلقي عليه التحية. ولكن الكلمات توقفت في حلقها أما هو فمر بها وكأنها ذلك الشبح الذي تقول الشائعات إنه يجوب منزل العزبة القديم واتجه مباشرة إلى المكتبة حيث الاجتماع.

وجدت نفسها ترتجف نصف ارتجافها بسبب الغضب لأنه تجاهلها، والنصف الآخر بسبب الانفعال.. إنه رجل بكل ما للكلمة من معنى.. شعر أسود أجعد وعينان من الفولاذ الرمادي.. وبشرة مشدودة سمراء تدل على أنه يقضي معظم وقته في العراء وكتفان عريضتان وذراعان مفتولتا العضلات وساقان قويتان. لقد رأت هذا كله بأقل من ثلاث ثوان من حياتها، ومع ذلك أثر كثيراً ما رأته فيها.

أسندت نفسها إلى الجدار وأغمضت عينيها في محاولة لتهدئة نفسها ودقات قلبها المتسارعة.. إذن هذا ما تتكلم عنه كل الفتيات في المدرسة.. الجاذبية! إنه من تدعيه الشخصيات في القصص



الغرامية التي كانت تقرأها وزميلاتها.. البطل، الرجل المتعصب لبني جنسه.. العاشق.

نسيت أن تذكر جيليس بسلة النزهة.. ولم تركض إلى أي مكان بل سارت بتكاسل إلى المنزل الصيفي وعقلها سابح في دوامة من الأحاسيس.. ولكن طبيعة هذه الأحاسيس لم تكن مفهومة لها، مع أنها عرفت أنها تشعر بشكل مختلف وغريب.

خلعت ثوب التنس في المنزل الصيفي وارتدت ثوب السباحة ثم وقفت تتأمل نفسها.. هل صحيح أن النمو يتوقف في سن السادسة عشرة؟ إنها تبدو كصبي: ضيقة الوركين، طويلة الأطراف، ممشوقة القوام تقريباً.. أما شعرها فهو الوحيد الذي يدل على أنوثتها.. إنه أسود كريش الغراب، براق، ينسدل بموجات حريرية حول وجهها البيضاوي.. مالت نحو المرآة تتفحصه.. هل هي جميلة؟ في الأسبوع الماضي فاجأها باري بتصريح أثار خجلها إذ قال لها إنها جميلة.. وضحكت على قوله.. نعم عيناها غير عاديتين أبداً.. فهما بنفسجيتان قاتمتان تحيط بهما أهداب سوداء.. لكنها تكره فمها.. فشفتاها مكتنزتان كثيراً، ولقد تدربت على وضع أحمر الشفاه داخل خط الشفة لتبدو أصغر.. لقد قرأت هذا في مجلة ما.. لكنها لم تنجح.

ـ كاريا.. أسرعي.. الآخران قادمان.

سمعت خطوة باري على ألواح الشرفة الخشبية ثم دخل عليها فرآها واقفة هناك أمام المرآة.

طافت عينا باري عليها: آه! تبدين جميلة.

ومع أنه شاهدها أكثر من مرة في ثوب السباحة من قبل، إلا أنهما شعرا معاً بأن هذه المرة مختلفة. وسارع باري متورد الوجه

إلى الخارج، وراح ينادي الآخرين بصوت غير طبيعي.

فيما بعد سبحوا معاً.. كانوا أربعة عرفوا بعضهم بعضاً منذ الطفولة.. تتذكر كاريا أنها طفت على ظهرها في مياه النهر الدافئة، وحدقت إلى السماء الزرقاء الصافية. هذه السنة مختلفة.. فحرارة الصيف أشدّ وأقوى.. وعادت تسبح نحو المرفأ وهناك جلست ومدت قدميها إلى المياه تحدق بخشوع إلى فراشة غطت على عيدان القصب قربها.. فجأة ذهلت..

لقد فعل هو هذا بها.. ذلك الأسمر الغريب فتح عينيها على جمال العالم.. لكن لماذا لم يكن باري هو الذي يجعلها تشعر بما تشعر به الآن؟

تناولوا الغداء وضحكوا، ثم ركضوا في الطقس الحار إلى ما بعد الظهر.. ثم ذهب ستان وليز ليتمشيا على ضفة النهر، أما هي فاستلقت مع باري بتكاسل تحت أشعة الشمس.. ثم حدث ما حدث.. تلك الأحداث الغريبة التي لم تحسب لها حساباً والتي غيرت حياتها.

هبَّت كاريا عن الأريكة الأرجوحة واستندت إلى عمود الشرفة وهي ترتجف على الرغم من حرارة الليل. كانت الضحكات والموسيقى تتناهى إلى أذنيها فتذكرها بأن هناك عالماً يدور.. حاولت أن تفكر في والدها وجوليا.. إنهما الآن في المطار.. في المطار الذي وصل إليه غراين برينكلي بالأمس.. أوه.. لماذا جاء؟ ليعذبها بذكرى تلك الحادثة المشؤومة؟ وسوف يعذبها.. ألم يذكرها بها منذ قليل؟

لم تشأ التفكير في ما حدث ولكن الأمر مستحيل، كما كان مستحيلاً في السنوات السبع المنصرمة.. فكلما استعادت الذكرى



كانت تأمل أن تجلب معها شيئاً نسيته منها.. شيئاً ينقذ ماء الوجه ويخفف من إحساسها بالذنب، ولكن هذا ما لم يحدث.. فقد بدت في نظر غراين برينكلي ساقطة صغيرة مستهترة، وكل محاولة لتجميل ما حدث لن تغير رأيه بها.

تمتم صوت رقيق هامس، على بعد قدم منها:

ـ أنا دهش لأن هذا المكان ما يزال قائماً.. كان متداعياً تقريباً عندما رأيته في المرة الماضية.

فتحت كاريا عينيها في الظلام مذعورة تغريها نفسها بالفرار، ولكن غضبها على جرأته لأنه جاء إلى هذا المكان تغلب على جبنها. ردت بصوت أجش:

ـ لقد أعيد.. بناؤه.. ماذا تريد؟

ـ جعلتني أبدو كالأحمق وسط حلبة الرقص.. وجئت أطالب بما تبقى من الرقصة.

قفز الدرجات الثلاث وأمسك بها بين ذراعيه:

ـ لو ركزت قليلاً لسمعت الموسيقى من هنا.

دفعته عنها.. كانت إحدى يديها تدفع سترة السهرة، والأخرى تمسك العمود الخشبي لدعم نفسها.

ـ لا أريد مراقصتك.. عد إلى فتاتك «الباربي» أم لعلها زوجتك؟

ـ في الواقع هيَّ زوجة رجل آخر...

كبحت شهقة الصدمة التي تصاعدت إلى حلقها.

أضاف: أرسلتها إلى منزلها بالتاكسي ليكون لدي الوقت الكامل لأصب اهتمامي عليك.

ـ ولماذا تظن أنني أريد هذا؟



www.elromancia.com

عرفت أنها قالت ما هو غير صائب.. نعم هي لا تكاد تراه في الظلام ولكنها تحس به، تحس باستقامة كتفيه المتعجرفة وتحس بالسخرية تنضح من كل كيانه.

قال بصوت هامس:

- يا الله! لقد تغيرنا.. أليس كذلك؟ في وقت ما كنا نتوسل لهذا!

- كنت يومذاك طفلة.. كما قلت أنت لي بكل وضوح.. ما كانت كلماتك بالضبط «فتاة مدللة ثرية..».

- «تظن نفسها قادرة على إغواء رجال ناضجين، ولكنها في الواقع تملك إغراء أفعى سامة» حسناً حبيبتي.. يجب أن أعترف أن جسمك امتلأ قليلاً منذ ذلك الوقت ولن تنفثي سُمّك عليّ.. أليس كذلك؟

همست بحقد وغضب وهي تحاول المرور:

- ليس لي تلك القدرة..

أمسكها بذيرها إلى العمود ووقف قربها:

- أنت امرأة الآن كاريا.. وامرأة مدهشة.. أعجب.. أما زال ذلك العرض الذي عمره سبع سنوات قائماً؟

سرت رعشة خوف بارد في جسمها.. لمسة واحدة ولن تعود واثقة من شيء.. هكذا أثّر بها طوال تلك السنوات. لو عانقها لذابت كما تفعل في أحلامها!

تمتم: أيعني صمتك أنه ما زال قائماً؟

امتدت يده تداعب شعرها.. أبعدت رأسها خشية أن يذهب بعيداً.

في السنوات المنصرمة دربت نفسها على رفض أي تقدم من أي



رجل يقترب منها.. وما أكثر ما كان عددهم. ولكن هذا الرجل الذي عاد إلى حياتها، يثبت أنها كبتت مشاعرها الطبيعية، وأنها تتوق إلى أن تحب.. ولكنها أقفلت الباب على هذه المشاعر، لأن هذا الرجل في يوم حار رطب أشعرها بأنها رخيصة قذرة.

تمنت لو ترى وجهه وكانت مسرورة لأنه لا يرى وجهها..

رفعت ذقنها بتحدٍ:

- ليت لي موهبتك في الكلام غراين برينكلي.. لكنني للأسف لا أستطيع التفكير في أي شيء أكثر ابتكاراً من القول لك: تباً لك.

اندفعت من أمامه تتجاوزه، فتنحى جانباً ودس يديه في جيبي سرواله.. عرفت أنه يراقبها وهي تحثّ الخطى مبتعدة ثم سمعت صوت ضحكته الثقيلة في جو الليل الدافىء، واندفع الخوف في قنوات عميقة في كيانها.. لقد بدا لها وكأنه رمى قفاز التحدي في وجهها.

ما إن اقتربت من المنزل ومن هرج ومرج الساهرين حتى نفضت عنها ذلك الخوف. إنها تبالغ في ردة فعلها. بعد الليلة لن ترى غراين برينكلي ثانية.. إلا إذا تزوج والدها مجدداً، وهذا غير معقول.. هيمنت فكرة واحدة على قرارها بالاستمتاع بالسهرة.. لماذا بحق الله دعاه والدها على أي حال؟

***



www.elromancia.com

## ٢ ـ خطأ يساوي العمر

استيقظت كاريا وهي تشعر بصداع. تستحقين هذا! إنه منتصف النهار.. نهضت مذعورة من السرير، ولكنها عادت تسقط فوق الوسائد مجدداً.. إنه يوم الأحد، يوم عطلتها الوحيد. وأخذت تفتش عن الهاتف:

ـ أوه.. فيونا.. أرسلي لي القهوة مع ساندي حبيبتي.

ردت عليها فيونا:

ـ تعرفين أن السهر لا يناسبك، فلماذا تسهرين؟

ـ أتظنين أن هذا هو السبب؟ أخبريني فيونا.. كيف بدوت البارحة؟

ضحكت فيونا مجدداً: «كنت جميلة الحفلة.. على فكرة، اليوم هو الأحد، ولقد أعطى والدك فرصة لكل الخدم.. لكن السيد برينكلي هنا، وقد عرض أن يحمل إليك القهوة..»

ـ لا أهتم بمن يحملها إليّ.. اطلبي منه أن يأتي بسرعة.

أعادت السماعة بقوة إلى مكانها وأدارت رأسها الضاجّ إلى الوسادة.. جميلة الحفلة.. أكانت هكذا؟.. أوه.. يا إلهي!

استيقظت جالسة في الفراش تهتز من فرط الصدمة وتمسك قائم السرير لتدعم نفسها.. هل سمعت حقاً اسم السيد برينكلي؟



سارعت إلى الهاتف.. لا شك أن فيونا مخطئة.. ولكنها سمعت قرعاً على الباب فوقعت السماعة من يدها رعباً..

وقفت كاريا مصدومة وكأنها التمثال. لم يكن في مقدورها حتى في أكثر أحلامها جنوناً وخيالاً أن تحلم بهذا.. إنه هنا، في غرفة نومها.. يدنو منها وفي يده صينية وعلى وجهه ابتسامة.. وكان ويا للذهول ما يزال يرتدي قميص السهرة والبنطلون الأسود.. لقد أمضى الليل هنا..! بكل جرأة!

قالت بصوت كسير: «ما هي اللعبة التي تلعبها؟»

وضع الصينية على الطاولة الصغيرة قرب السرير. ورد برقة: «أمثل دور الخادم العائلي المخلص.. إنما لا تعتقدي أنني سأعتاد على هذا.. فغداً دورك».

ـ غداً..؟

ـ غداً عطلة مصارف.. وهو دوري في النوم.

أعطاها كوب عصير برتقال:

ـ اشربي هذا أولاً.. الڤيتامين ج أفضل دواء للصداع.

ردت: لدي دواء أفضل منه.. أنت! لقد زال صداعي بشكل عجائبي.. والآن هلا قلت لي لماذا أراك هنا في المنزل؟ ألعله سؤال سخيف؟ هل نسيت أين تسكن؟

ضحك: «أنت من كنت تتصرفين كالمجانين ليلة أمس. لذا وجدت أن من واجبي البقاء لأراقبك. لا تنسي.. أعرف ما يحدث للفتيات الصغيرات المستهترات».

تورد وجهها بشدة.. ألن تتخلص يوماً من ذكرى ذلك اليوم؟ ارتدت عنه تحمل كوب العصير إلى النافذة، ولكنها ارتدت حين سمعته يجلس على سريرها ليسكب له فنجان قهوة. فقد حمل معه



www.elromancia.com

فنجانين.. كيف يجرؤ؟

ـ لم أكن مستهترة يومذاك وما كنت بالأمس.. كانت ليلة زفاف أبي ولديّ سبب للاحتفال والمرح..

نظرت من النافذة الزجاجية إلى النهر الكئيب وتساءلت عما إذا كانت ستستيقظ بعد دقائق لتجد أن كل هذا مجرد حلم.

ـ وما كان عذرك منذ سبع سنوات؟

صاحت بقوة: «اصمت!»

وساد صمت طويل طويل بينهما، ملأته كاريا بمحاولة طرد كل لحظة من ذلك اليوم في آب من أفكارها.. لقد أساء فهم كل شيء بشكل غريب.. أساء تفسير المشهد كله.. تعترف أنها كانت متعبة، دائخة قليلاً، والحرارة.. وذلك الإحساس الغريب الجديد في كيانها..

كانت قد تمتمت لباري وهو يمرر عوداً على أذنها:

ـ لا تفعل هذا! إنك تدغدغني.

وفتحت عينيها حالمة فرأته ينظر إليها نظرة غريبة جعلتها تضحك.. اضجعت على معدتها وأسندت ذقنها على يديها وراحت تنظر إلى العشب النامي عند أطراف المنزل الصيفي وفكرت في الغريب الوسيم في المنزل.

تغيرت لمسة باري فتوقفت عن الضحك. أدارها بلطف نحوه ليعانقها.. إنه العناق الأول لها.. وشعرت بإحساس جديد غريب.. ثم تحرك كل شيء حولها بسرعة وكأنما تعرض إلى سيطرة «روموت كونترول» وأصدر باري صوتاً غريباً لأن ظلاماً حط عليهما.. ثم هرب فهبت كاريا لتقف على قدميها.

قال الرجل الطويل الأسمر الغريب بحدة:



ـ ما هذا؟ كم عمرك؟ خمسة عشر؟

صرخت في وجهه:

ـ أيعرف أبي أنك تتجسس عليّ..؟ لقد سئمت الكثيرين أمثالك.. أهكذا ترضي غرورك؟

أوه.. ولقد كان هناك الكثير، والكثير جداً، حتى أغرق ضاحكاً في نهاية الأمر، حين قالت:

ـ سأجعل أبي يجلدك بالسوط كالحصان!

ثم قال كلمته: «فتاة مدللة ثرية» تبع هذا الشيء الوحيد الذي ندمت عليه.. فقد خطت نحوه وعقدت ذراعيها حول عنقه وهمست ببطء:

ـ أيها المنافق.. لا تقل لي إنك لا تجدني جذابة.. لماذا لا تعانقني؟

نظر إليها الغريب وكأنها أحد الزواحف.

أمسكت كاريا كوب عصير البرتقال الزجاجي بكلتا يديها بقوة حتى كادت تكسره ثم أحست بأصابع دافئة على أصابعها تخفف من ضغط قبضتها.. فعادت إلى الحاضر لتحدق إلى غراين برينكلي.

قال بلطف: «اشربي قهوتك قبل أن تبرد».

وضع فنجان القهوة أمامها على طاولة الزينة قرب النافذة.. وخرج من الغرفة.

أطلقت شهقة عذاب وهرعت إلى الحمام لتحاول نسيان ذلك اليوم الحار في ذلك الصيف.. ولكن الأمر كان مستحيلاً.. لقد أفسد علاقتها مع باري الذي لم يقترب منها حتى حلت أعياد الميلاد وبعدئذ لم يتكلما عن عناقهما ذاك. لقد بدد الغريب ثقتها المراهقة بنفسها وأحست أنها غير جذابة. ولم يخرجها من كآبتها إلا والدها



www.elromancia.com

الذي هدّد بعرضها على طبيب نفسي.. لا.. لم تكن مجنونة.. لكنها كانت حمقاء لأنها سمحت لذلك الغريب بالتأثير في حياتها.. وليس هناك إلا طريق واحدة للخروج من هذا.. العمل.

استلقت كاريا في الحمام الساخن وأغمضت عينيها. كان خلاصها الجامعة التي تخرجت منها بدرجة جيدة في الاقتصاديات.. وكان ميلها للأعمال هو ما هز والدها. إنها في الثالثة والعشرين. عملت على تأسيس شركة استثمارية فريق العمل فيها نساء ذكيات تعرفت إليهن في الجامعة.. لكنها تنكر بشدة أنها متعصبة للنساء.. فالموظفات وصلن إلى العمل لديها ببساطة لأن المتقدمين الرجال كانوا يرفضون العمل لأن رئيسهم امرأة! ولكن المستثمرين التواقين لجني المال لم يكن لديهم أية اتجاهات معادية للنساء.. ازدهرت أعمالها أمام انزعاج والدها وتكدره.. ولكن أكانت هي راضية؟ ليتها تشعر بالرضى ففي الواقع أنها تريد المزيد من التوسع، تريد الوصول إلى شركة أبيها.

جففت نفسها وارتدت سروالاً وقميصاً أسودين.. ثم انحنت تمرر أصابعها بشعرها الأسود الفاحم، ثم توقفت مفكرة.. ما الذي عناه بالقول: دورك غداً؟ من يسمعه يظن أنه يخطط للبقاء طوال عطلة المصارف. استيقظت وهزت شعرها حول كتفيها.. لا مجال لهذا!

حين وصلت إلى أسفل الدرج كان يخرج من مكتبة أبيها، وسترة السهرة ملقاة على كتفه وربطة عنقه الفراشية معلقة حول ياقته المفتوحة.

سألته بتعال: «ماذا تفعل في مكتبة أبي؟ لا تقل لي إنك نمت هناك؟»



ضحك: بل نمت في الغرفة المجاورة لغرفتك.. لكن كان عليّ إجراء بعض المخابرات الدولية بعد انقضاء الحفلة، فاستخدمت المكتبة وتركت سترتي هناك.

ـ أرجو أن تكون على استعداد لتسديد فواتير هذه المخابرات. نعم والدي غير بخيل، ولكنني لا أظنه يوافق على مثل هذه المخابرات التي يجريها شخص غريب في غيبته.

ألقت عليه نظرة ملؤها الحزم فتلقاها بعبوس وحيرة.. فتح فمه وكأنه يهمّ بقول شيء ثم هز كتفيه وغيّر رأيه وشد على شفتيه حتى أصبحتا خطاً رفيعاً مستقيماً تذكره جيداً. بعد ذلك قال بفظاظة:

ـ إنه أمر بيني وبين والدك.. والآن، مع أنني أكره أن أطلب، هل من الممكن أن تقليني إلى منزلي؟ حاولت الاتصال بسيارة أجرة ولكنني لن أستطيع الحصول على سيارة قبل نصف ساعة وأنا على عجلة من أمري.

ابتسمت كاريا، معتدة النفس:

ـ ليس هناك ما قد يسرّ قلبي أكثر من هذا.. إنما أرجو ألا يكون المكان بعيداً.. فأنا على عجلة من أمري أيضاً.

نظرت إلى ساعتها، تلعن نفسها في سرها لأنها نامت حتى هذا الوقت المتأخر. لديها عمل تقوم به.. هي عادة تترك أيام الآحاد للراحة، لكن إحدى الشركات المجهولة أثارت الاهتمام في سوق القطع.. لذا عليها قبل أن تستثمر مال أحد أن تتأكد من تلك الشركة.

سألت وهما يتوجهان نحو الكاراج في مؤخرة المنزل:

ـ إذن.. ليس معك سيارة؟ هل انهارت الميني أخيراً من الإرهاق؟



www.elromancia.com

عبس: «الميني؟»

ثم تذكر ونظر إليها مستغرباً:

ـ لم تفتك ملاحظة شيء ذلك اليوم.. أليس كذلك؟

كتمت غضبها من نفسها لأنها قالت ذلك.

ـ بومذاك ظننتك أنا وباري مصاباً بالهستيريا لوصولك بتلك الخردة وبذاك الجينز أيضاً.

ـ أجل.. أعتقد أنني بدوت غريباً فعلاً..

وهذا ما جعل كاريا تحس بأنها أكثر غباء مما مضى..

أخرجت كاريا سيارتها المكشوفة من المرآب، وانتظرت حتى صعد إليها لتنطلق بسرعة وبسبب سرعتها هذه طارت ربطة عنقه إلى المقعد الخلفي فاستردها ودسها في جيبه.

سألته برقة وهي غير قادرة على مقاومة مهاجمته: مستأجرة؟

ـ لم يعلمك الزمن الكثير كاريا.. صحيح؟ ما زلت ابنة الخامسة عشرة، الفتاة المدللة.

ـ كنت في السادسة عشرة في الواقع.

نحّت خجلها كله جانباً لأنها أحرجته.. أتراه لا يتحمل ثمن بذلة سهرة.. بعض الناس يستأجرون.. آه! اللعنة عليه!

فتحت كاريا البوابات بجهاز السيطرة عن بُعد، وسألت:

ـ يميناً أم يساراً؟

ـ غير واثق.. وصلت بالأمس بسيارة أجرة ولم أنتبه كثيراً..

توقفت بسرعة ثم قالت بنفاد صبر:

ـ تعرف بالتأكيد أين تعيش؟

برقت عيناه الرماديتان.

ـ لقد اشتريت المنزل هاتفياً.. وصلت البلاد مساء الجمعة



وكنت في غاية الإرهاق فلم أنتبه إلى أين أنا ذاهب.

تمطى بكسل في المقعد ورفع وجهه إلى الشمس الدافئة.

ـ إنه يوم جميل.. ونحن مضطران للتجول على أمل أن أتعرف إلى منزلي.

ـ اسمع.. أنا لا أملك شركة سياحية.. خلتك على عجلة من أمرك! ألا تعرف شيئاً عن مكان وجوده؟

دلك جبهته في تعبير مبالغ فيه للتذكر.. فأخذت كاريا تنقر على المقود بأظافرها.

ـ آه.. أجل.. قرية «برامبتون».. أم تراها براملي أو برم...؟

قاطعته: «براملي!»

وضغطت على دواسة السرعة وانعطفت يساراً.. القرية لا تبعد أكثر من عشر دقائق.. عشر دقائق أخرى عليها تحمله فيها.

قال بعد بضعة أميال: «سيارة رائعة.. هدية من دادي»؟

أرادت الاحتجاج والقول له بأنها اشترتها بعرق جبينها ولكنها عدلت عن ذلك. وماذا يهم؟ الواضح أنه لا يعتبرها قادرة على إعالة نفسها.. فلماذا تزعج نفسها بالتأثير فيه؟ تجاهلت السؤال وانعطفت بطريقة يفتخر بها أي سائق سباق. رأت ويا للسرور لونه شحب.

قال بعد بضعة أميال:

ـ إنه مكان مألوف.. خففي سرعتك.. أظنه على تلك الطريق الزراعية هناك.

انعطفت كاريا عن الطريق العام وصولاً إلى طريق وعرة ضيقة تمر بلوحة تقول: «مزرعة بيغوت».. عبست كاريا.. لم يشتر المزرعة بالتأكيد؟ إنها معروضة للبيع منذ زمن بعيد وسعرها مرتفع بشكل سخيف.. مرتفع كثيراً على أمثال غراين برينكلي.. تساءلت



www.elromancia.com

بغموض عن العمل الذي يمتهنه، لكنها لم تسأل لأنها سرعان ما ستتخلص منه ومن المحتمل ألا تراه ثانية.

قال فجأة: «واو..! طريق بعيدة جداً.. ستضطرين إلى التراجع».

تمتمت لاعنة بصمت.. كان مقبض الرجوع قاسياً فراحت تحركه بقوة، وعندما همّت بالمحاولة الثالثة أطبقت يده على يدها ووجّه المقبض إلى مكانه الصحيح. كانت يده دافئة فوق يدها فحاولت سحبها من تحت يده ولكنه أبقاها حيث هي. تصاعدت حرارة التلامس في ذراعها ودفعت المقبض إلى السرعة الأولى، ورفعت قدمها عن دواسة الفاصل فتوقف المحرك.

أبعد يده عن يدها راضياً مبتسماً.. لأنه عرف أن لمسته أثرت في أعصابها.. كم أرادت أن تزيل هذه الابتسامة عن وجهه.

كان الكوخ الذي توقفت أمامه منزلاً ريفياً قبيحاً.. حسناً لم تكن تتوقع «مزرعة بيغوت» ولكنها لم تكن تتوقع هذه الخربة أيضاً..

سألت ساخرة:

ـ اشتريتها عبر الهاتف.. أليس كذلك؟ لا يدهشني ذلك.. فلو رأوها لما استطاعوا التخلي عنها.

لم يظهر عليه التأثر من سخريتها:

ـ سيكون المكان على ما يرام بعد عدة لمسات.

فتح باب السيارة وخرج:

ـ أترغبين في الدخول أم البقاء في السيارة والانتظار؟

اتسعت عيناها البنفسجيتان دهشة:

ـ أنتظر؟ ولماذا؟



بدا خجولاً.. ومرر يده في شعره:

ـ أريد تغيير هذه الملابس، وتوضيب بضعة أشياء. ولأنني لم أحل مشكلة السيارة.. أخشى أن أطلب منك مضطراً أن تنقليني ثانية.

تنهدت ساخطة ثم أطفأت المحرك وعقدت ذراعيها على صدرها:

ـ هذا سخيف! حسناً.. أسرع.. ليس لدي اليوم كله لأنتظر!

راقبته يسير في ما كان يوماً حديقة أمامية. لم يكن مستعجلاً فراحت كاريا ترغي وتزبد في نفسها، إن مظهره غريب وهو في بذلة السهرة.

عشر دقائق من الحر الشديد مرت فكادت تهمّ بتركه حيث هو.. ولكنه ناداها من نافذة في الطابق السفلي:

ـ سيأخذ الأمر مني وقتاً طويلاً.. لقد وضعت غلاية الماء على النار.. أترغبين في القهوة؟

قبلت الدعوة بدافع الفضول. في الوقت الذي ترجلت فيه من السيارة اتجهت شاحنة محملة بمواد بناء فوق الطريق الترابية نحو المزرعة.. إذن هناك من اشترى فعلاً بيت المزرعة القديم المتصدع والواضح أنه يصلحه.. لدى بعض الناس مال أكثر مما لديهم عقل راجح.. بيت «مزرعة بيغوت» معروف بأنه منزل ڤيكتوري الطراز مرتفع الكلفة لذا لن يفكر في شرائه إلا مهووس ثري.

لا شك أن غراين برينكلي قد فقد عقله ليشتري هذا المكان..

توقفت في ردهة مظلمة تنسمت فيها رائحة لا تطاق، رائحة الرطوبة والعفن والخشب المهترىء..

نادت: «أين المطبخ؟»



www.elromancia.com

انتفضت عند خروجه من إحدى الغرف، ونظرت إلى ما وراءه فرأت أن الغرفة لم تكن سيئة كما توقعت.. فمع أنها تعج بالحقائب الموضبة فإن الشمس تصب نورها عليها وتنيرها بشكل جيد.

ـ المطبخ في نهاية الممر.. هناك وكالة تنظيف تعتني بالمكان.

كان قد ارتدى جينزاً وقميصاً أبيض ما زال يحمل آثار الطي.. وكانت بعض الحقائب مفتوحة والثياب تتدلى منها، وهناك حقيبة على الأرض إلى جانبها صندوق كرتوني عليه اسم شركة تأجير ملابس مشهورة، وكانت بذلة السهرة مطوية بترتيب فيها.. سرعان ما استولى عليها الندم بسبب تعليقها الخالي من الشعور.

تجاوزته إلى المطبخ وهي تستغرب السبب الذي يجعل قلبها يتفطر لمنظر مثل هذا الخراب.. إن وصل يوم الجمعة فهذا يعني أنه أمضى الليل هنا ولن تتمنى هذا حتى لأسوأ أعدائها.

لكن المطبخ لم يكن مريعاً هكذا.. فثمة من حاول تحديثه، وكان نظيفاً.. الشمس كانت تتسلل إليه من النافذة. منها نظرت إلى الحديقة الخلفية.. التي كانت مهجورة كمثيلتها في المقدمة.

وجدت كوبين.. فكرت وهي تنتظر غليان المياه في الركوة.. هل خطط لاصطحاب فتاته «الباربي» إلى هنا؟ عبست على هذه الفكرة.

قال وهو ينضم إليها:

ـ سنشرب القهوة في الخارج.. فالمكان يقبض النفس هنا.

فتح الباب الخلفي الذي ارتجّ ثم نظرت إلى علبة السكر، وسألته:

ـ كم قطعة سكر؟

نادى من الخارج: «بدون سكّر».



تمتمت: «هكذا أفضل.. لأن السكر غير موجود».

أخذت كوبي القهوة إلى الخارج، وانضمت تجلس معه على مقعد خشبي مهتز يستند إلى جدار المنزل الخلفي.. كان مستنداً إلى الخلف وساقاه ممتدتان أمامه ووجهه مرفوع إلى الأعلى نحو الشمس الدافئة.. لم يكن حليقاً ذلك الصباح وبدا أبيض اللون بالرغم من اسمراره القائم.

قالت: «علمت أنك كنت تعيش خارج البلاد.. فهل كنت في مكان استوائي؟»

ـ عشت في الشرق الأوسط في السنتين الأخيرتين أما في السنوات الخمس السابقة فكنت في الولايات المتحدة.

سبع سنوات.. تسللت القشعريرة إلى ظهرها.. وفي الوقت الذي كانت تتصوره عائداً إلى حياتها، لم يكن في البلاد..

أردف: «إذن تعرفين الآن أين كنت منذ أن التقينا في آخر مرة فماذا عنك؟ فمما سمعته من حبيبك اتضح لي أنك اتخذت لنفسك عملاً.. فهل فتح لك «دادي» محلاً فاخراً في مكان ما؟»

تعالى غضبها ثم خبا.. تصرفه كريه ولكنه مفهوم. إذ ينتهي الأمر ببنات الآباء الأثرياء إلى عمل كهذا، ويبقين جالسات بانتظار أن يتزوجن شاباً ثرياً مناسباً.. ولو كان لوالدها يد في هذا لكان هذا مصيرها، كما كان مصير معظم صديقاتها اللواتي كن معها في المدرسة الداخلية ولكنها لن تجعل غراين برينكلي يعرف أن تصرفه القاسي معها منذ سنوات أجبرها على أن تبرهن أنها ليست امرأة من كسالى المجتمع.. ولن تعترف له بهذا بل لن تعترف لأحد.

قالت دون أن تلزم نفسها:

ـ شغلت وقتي بطريقة ما.. أجل.

فتح عينيه: «ولم تتزوجي قط».

ـ لم أجد من يستطيع إبقائي في المستوى الذي اعتدت عليه.

أنهيا ارتشاف القهوة بصمت ثم نظر إلى ساعته عابساً:

ـ يجب أن نذهب حقاً.

ـ إلى أين تريد مني أن أقلّك؟ إلى آبنغتون؟

إنه فندق قريب.

فجأة تجمدت كاريا.. فقد قفزت قطة سوداء ضخمة حولها جيش صغير من القطط الصغيرة من بين العشب المرتفع القريب، الذي يصل ارتفاعه إلى الباب الخلفي. قفزت واقفة تاركة الكوب الذي انكسب على سروالها الجينز.

انحنى غراين ضاحكاً مستغرباً وحمل إحدى القطط الصغيرة ورماها على صدر كاريا..

ـ إنها قطة منزلية وليست فهداً أسوداً..

فوجئت كاريا فأمسكت بالقطة لئلا تقع أرضاً، وضمتها إلى صدرها لحظة واحدة كانت أكثر من كافية ثم رمتها مجدداً.. فالتقط غراين القطة غاضباً ثم وضعها بلطف على العشب وبعد ذلك ارتدّ إليها والغضب في عينيه.

صاح بها: «هل أنت مجنونة؟ كدت تقتلين المسكينة الصغيرة.. هل خشيت أن تلطخ قميصك الفاخر؟»

أمسكت بعنقها وراحت عيناها تدمعان. حاولت أن ترد.. ولكن صدرها كان يعلو ويهبط بجهد.. فجأة مادت الأرض تحت قدميها.. وصاح غراين بصوت أجش وأمسك بها قبل أن تقع:

ـ أوه.. يا إلهي!

تمسكت به وهو يساعدها على الدخول إلى المنزل.. كادت



تختنق لأنها كانت تبذل جهداً لتمنعه. وعندما استردت وعيها وجدت أنها في الغرفة مع الصناديق ممددة على أريكة عتيقة أما غراين فكان يضم رأسها وكتفيها بين ذراعيه.. فاستلقت بين ذراعيه تحس بأمان غريب حتى عاد اللون إلى وجهها الشاحب.

أرجع بلطف خصلة شعر عن وجهها:

ـ لا تحاولي التكلم.. أنا آسف حبيبتي.. لم أكن أعلم.. هل معك شيء: أقراص، نشوق؟

هزت رأسها ببؤس والدموع تتدفق من عينيها.. فألقاها بلطف على الأريكة الوثيرة:

ـ سأحمل إليك بعض الماء.

في الثواني التي غابها في المطبخ قاومت كاريا النوبة التي أصابتها بكل ذرة من قواها.. لماذا يجب أن يحدث هذا أمامه؟ إنه آخر من تريد أن يرى ضعفها وهشاشتها.

عاد مع الماء فوضع الكأس على فمها لتشرب السائل البارد.. ارتجفت يداها وهي تحاول الإمساك بالكوب الذي يضعه على شفتيها.. فقال:

ـ يا إلهي! انظري إلى يديك!

كانت الحساسية قد بدأت تظهر بقعاً حمراء حيث لامسها فرو القطة.. فحاولت إخفاءها في طيات قميصها لكنه أمسك يديها، ودفعهما إلى شفتيه في لحظة حنان كادت تدفعها إلى البكاء.

قالت بصوت كسير:

ـ ستزول بعد دقائق.. إنها أسوأ حالة حساسية واجهها الإخصائيون.

وحاولت الابتسام.. نظر إليها بحنان شديد جعلها تظن أن نوبة

أخرى ستصيبها . .

قالت تشرح له : إنها لا تدوم طويلاً . . ولم أتعرض لمثلها منذ سنوات، فجل ما أفعله الابتعاد عن القطط .

ثم عقدت ذراعيها غريزياً حول جسمها والخوف يظلل عينيها البنفسجيتين .

قال بصوت أجش وعيناه حزينتان على منظرها :

ـ لا تخافي كاريا . . لا تخافي أبداً .

عقد ذراعيه ببطء حولها فأغمضت عينيها لئلا ترى عينيه .

ـ غراين .

لم يحتج إلى آهة أخرى ليضمها إليه . . وتقوس ظهرها شوقاً وشدت نفسها إليه . . مرت أمام عينيها سبع سنوات من عمرها . . هذا حقيقي . . أحلامها الخيالية التي طالما كانت محبطة تتحقق . . ارتفعت يداها ومرت أصابعها في شعره الكثيف . . فتحت عينيها وهو يرفع رأسه فتلاقت عيونهما في عذاب صامت .

بسبب ضعفها إثر نوبة الحساسية، اضطرت لتشهق طلباً للتنفس قبل أن يكتفي أي منهما من العناق . . فجأة ابتعد عنها بحدة وقال بصوت أجش :

ـ سأنهي توضيب حقيبتي .

تحرك قلقاً في الغرفة حيث راح ينتزع أشياء من صناديق مختلفة ويرميها كيفما اتفق في الحقيبة التي على الأرض . . أغمضت كاريا عينيها مجدداً . . إنها أكثر إرهاقاً من أن تحاول تحليل ما حدث منذ قليل . . فهي لا تعي إلا شعورها بالخجل والشعور بالذنب بسبب السماح لمشاعرها بتجاوز الحد . هبت على قدميها مع أن رأسها ما يزال في دوار .



جاء فوقف أمامها . . طويل أسمر غامض، لقد فضحت الكثير من أمرها فثمة أشياء كثيرة تريد أن تبقى مدفونة داخلها .

قال بلطف وهو يمد يده : «سأقود السيارة بنفسي» .

ما زالت المفاتيح في السيارة .

لن تستطيع أن تقود السيارة وهي في هذه الحالة ولا علاقة لنوبة الحساسية بالأمر . . لقد سلب غراين برينكلي كل قواها .

ما إن وصلا إلى آخر الممر الترابي حتى انعطف إلى الطريق الريفية . . كانت كاريا جالسة بوهن في المقعد إلى جانبه . . بعد بضعة أميال ضيقت عينيها البنفسجيتين والتفتت إليه .

ـ أنت لا تعرف طريقك فعلاً في هذه النواحي . . أليس كذلك؟ ما هذا الطريق إلى فندق «آبنغتون» .

أبعد نظره عن الطريق ونظر إليها :

ـ ألا تعرفين؟ . . صحيح؟

وأعاد عينيه إلى الطريق .

تحرك القلق في قلبها فتشنجت . . نظرت متوترة إلى جانب وجهه، ثم سألت هامسة :

ـ لا أفهم . . ماذا تقصد؟ ماذا عليَّ أن أعرف؟

اشتدت يداه على المقود فازداد توتر كاريا . .

ـ أعتقد أنه نسي أن يخبرك في صخب الاحتفال بالزفاف . .

ـ أتعني أبي؟ ما الذي نسي أن يخبرني به؟

ـ لقد دعاني والدك لأقيم في العزبة المدة التي أريد بانتظار تصليح منزلي الجديد .

شهقت ذهولاً : «ماذا فعل؟»

لا شك أن هناك خطأ ما . . فكل ما تعرفه أن والدها لم يرَ غراين



www.elromancia.com

برينكلي منذ ذلك اليوم الحار في شهر آب، أي منذ سبع سنوات..
مع ذلك دعاه إلى حفلة عرسه.

دلكت كاريا جبينها في إحباط كامل:

ـ ولماذا يفعل هذا؟

تجاوز غراين شاحنة أمامه على الطريق الريفية، ولم يرد حتى أصبح على الطريق السوي الفارغ مجدداً.

ـ أظن أن على والدك شرح هذا..

شهقت كاريا مجدداً: «هذا كل شيء؟ ألن تشرح لي شيئاً؟»

الواضح أنه لن يتفوه بكلمة أخرى.. بل لم تخرج من شفتيه أية كلمة حتى سألها كيف تشتغل البوابات الآلية لعزبة «ريبورن».. قال بعدما تمتمت بالشيفرة التي سيسجلها على جهاز التحكم:

ـ شكراً.. سأدخل وأخرج من هنا كثيراً.. في الأشهر القليلة القادمة.

نسيت كاريا عناقه الحار الذي ردم سنوات الوحدة بعد ظهر اليوم.. آه! إن بضعة أشهر مع غراين برينكلي في منزل واحد ستكون أوقاتاً ملؤها الإحباط بشكل لا يطاق.. فهي تعرف أنه لن يكون هنا لأنه يرغب أن يكون قربها.. لا.. فقد خطط لهذا سلفاً.. شيء ما يدور بينه وبين أبيها وتريد أن تعرف بالضبط ما هو.. وستعرف.. ستتصل بأبيها ما إن تدخل إلى المنزل.

على جاك نيكولز أن يوضح بعض الأمور.

***



## ٣ ـ حالة حرب

صفقت سماعة الهاتف بإحباط:

ـ كيف له أن يفعل هذا بي؟

سألها غراين من خلفها: «يفعل ماذا؟»

ارتدت تواجهه وعيناها تبرقان بالغضب والذهول.

ـ ليس في الفندق في «ماهي»... لقد وصل ثم استقل مركباً إلى إحدى الجزر الأخرى ولن يعود قبل يوم الخميس.

ـ حسناً.. إنه في شهر العسل وهذا ما تعرفينه جيداً..

ـ بالتأكيد أعرف.

أرجعت شعرها عن وجهها وجلست في كرسي مكتبة أبيها.. رفعت بصرها إلى غراين الواقف أمام منضدة من خشب الماهوغوني، وقالت:

ـ من الأفضل أن تفسّر لي ما يجري لأنني واثقة أنني لن أستطيع الانتظار حتى يوم الخميس.

هز رأسه وأسند نفسه على يديه فوق المنضدة ومال نحوها.

ـ أفسر ماذا؟ ألا يكفيك القول بأن والدك كان لطيفاً فعرض عليّ سكناً محترماً؟..

ـ لا.. لا يكفيني! فهذا منزلي الذي تتوقع أن تعيش فيه.. أنا لا



www.elromancia.com

أعرفك . . بل حتى يوم أمس لم أسمع باسمك . .

ـ لكنك سبق أن رأيتني هنا . .

ـ مرة واحدة منذ سبع سنوات . . ولم أكن أعرف اسمك أو ماذا كنت تفعل هنا . . كل ما أعرفه أنك ربما أتيت لتصليح سيارة أبي . . أما اسمك فلم يُذكر قبل ليلة أمس حين ذكر لي أبي اسمك . . ولكنه لم يذكر أكثر من اسمك . . أمضيت ليلة في بيتي ثم تعلن بهدوء أنك باق عدة أشهر . . لن أقبل بهذا . .

ـ مم أنت خائفة كاريا؟ ألا تثقين بي؟

ـ أنا لا أعرفك!

ـ تعرفينني بما فيه الكفاية وهذه المعرفة تجعلك على علم بأنني لن أستغلك .

ـ لا أعرف شيئاً من هذا . . فأنت لم تتورع عن اقتحام غرفة نومي هذا الصباح . . كان يمكن أن أكون في وضع غير محتشم وأنت لا تدري .

ـ لقد قرعت الباب، وأمهلتك ما يكفي من وقت لترتدي ثيابك .

هذا صحيح . . مع أنها تستطيع أن تجادله بأن ثلاث ثوان غير كافية للتأكد من ارتداء ثياب محتشمة . . لكنها سألت :

ـ وماذا عن بعد ظهر اليوم؟ إذا كان ذلك لا يعد استغلالاً فماذا يعني إذن؟

ران صمت قصير قبل أن يقول شيئاً . . وسرّع الخوف دقات قلبها .

اشتدت قبضتاه فوق الطاولة ثم قال :

ـ كيف تستطيعين قول ما لن أعرفه أبداً . . أتساءل وأنت صاحبة السجل الحافل كيف تجرؤين على السؤال . . لقد رميت نفسك عليّ



وأنت في السادسة عشرة . . بعد ظهر ذلك اليوم كنت سهلة المنال .

كيف له أن يكون قاسياً مجحفاً إلى هذه الدرجة؟ . . ترقرقت الدموع في عينيها تحرق جفنيها :

ـ أيها النذل!

ـ حسناً . . أنا نذل . . أليس كذلك؟ اسمعي كاريا نيكولز . . إن كان هناك من سمعته وشرفه على المحك فهو أنا!

ارتد على عقبيه تاركاً وراءه منضدة أبيها تتراقص قبل أن تتهاوى إلى الكرسي .

لن تطيق العيش مع هذا الرجل تحت سقف واحد . . كيف يجرؤ والدها على السماح له . . ولماذا . . لماذا؟ ربما كانا في تلك السنوات المنصرمة على علاقة عمل، ولكن الرجل كان مسافراً مدة سبع سنوات ولم يذكر والدها مرة واحدة اسم غراين برينكلي . . تنهدت مستسلمة وأغمضت عينيها . متى ناقش والدها أمور أعماله معها؟ كل ما تعرفه عنه تقرأه في «الفيننشال تايمز» في تقارير الشركة السنوية التي يحتفظ بنسخ منها هنا في خزنة عزبة ريبورن . . عرف والدها أنها تدأب على قراءتها ولكنه كان واثقاً بأن ابنته لن يكون لها موطىء قدم في مجلس إدارته لذا كان يتركها ترضي فضولها . . وكان يضحك دائماً عندما يراها تقرأها فتسأله :

ـ ما الذي يضحكك؟

فيقول : «أنت . . جمالك جمال عارضة أزياء وعقلك عقل رجل . . ولا أدري ما يفيدك هذا» .

وكانت كاريا تتمطى كقطة كسولة :

ـ وهل تسعى لشجار؟

فيتنهد : «وفريه عليّ . . » .

في إحدى المرات تقدمت إليه وغاصت على السجادة عند قدميه وأسندت رأسها إلى ركبته، لتقول له:

ـ أنا أحاول أن أحل مكان الابن الذي طالما أردته. لو كتب العمر لوالدتي لرزقتما بعدة أولاد.. أليس كذلك؟ ابن يرث أعمال العائلة.. ولكنني أستطيع هذا لو تترك لي فرصة.

ضحك جاك نيكولز وعبث بشعرها:

ـ لقد سبق أن قلت لك إن صناعة الفولاذ لا تليق بامرأة. سيأكلونك حية. الرجال في المصانع لا يرغبون في أخذ أوامرهم من غير الرجال، ليتك تتزوجين إذ ستجعلين مني أسعد رجل لو كان زواجك ناجحاً واستقريت وأسست عائلة وأنجبت لي بضعة أحفاد أستطيع أن أدخلهم إلى الشركة كما فعل والدي وجدي من قبلي. ولا تسيئي فهمي حبيبتي، فأنا مع المساواة في الأماكن المناسبة التي هي بعيدة عن معامل الفولاذ في شمالي انكلترا.

لم تجادله ثانية تلك الليلة لأنها تعرف أن معه بعض الحق.. ففي المناسبات التي سافرت فيها إلى المصانع برفقته، لم تستطع إلا أن تلاحظ نظرات الإعجاب وهزات الرأس والغمزات لمجرد رؤية والدها.. ولكنها لم تكن تنوي إطلاقاً النزول إلى أرض المعامل كما كان يفعل والدها دائماً. فبإمكانها القيام بالإدارة من وراء الأبواب، حيث اهتمامها الحقيقي، الاقتصاد، وعلى الأخص من وراء أبواب قاعة الاجتماعات المغلقة، حيث القوة والتوجيه.

استدارت عن النافذة.. لماذا هو هنا؟ عنَّت على بالها فكرة ولكنها كانت في غاية السخف فصرفتها بازدراء.. لكنها فكرت بها بما يكفي.. ألم يقل لها والدها مراراً وتكراراً إنه يرغب أن تتزوج؟ فهل دبّر هذا كله؟ دعا غراين برينكليّ الوسيم الساحر الجذاب ليقيم



في منزله فيما هو بعيد في رحلة شهر العسل، على أمل أن يتعارفا أكثر؟ عرفت أن جاك نيكولز قد يوافق على غراين برينكلي.. فلديه الشجاعة والجرأة وهذا ما يعجب والدها.

فجأة ضحكت كاريا لنفسها.. قد تكون له الجرأة لكن ينقصه شيء ثمين.. ووالدها لن يبيعها رخيصة للاشيء! طاف حول العالم وعاد الآن إلى المملكة المتحدة بلا سيارة، أو بذلة سهرة خاصة به.. ثم ماذا يفعل ليعيش؟ ستسأله بالطبع، ليس لأنها مهتمة به بشكل خاص، ولكن مهما كانت مهنته فهي لم تعطه إلا ثمن ذاك الكوخ المزري ذي القرميد الأحمر والحديقة المهجورة.

لا.. لا يمكن أن يفعل والدها هذا بها.. لن يتوقع منها الوقوع في حب مفلس مجهول.. وهو ليس غبياً أبله ليقع ضحية قصة حظ عاثر.. إذن كيف تمكن غراين برينكلي من دخول بيت نيكولز؟ فيونا! فيونا قد تتمكن من إلقاء بعض الأضواء على هذا الغموض.

عندما كانت كاريا متوجهة إلى شقة فيونا وزوجها جيليس الواقعة فوق المطبخ والكاراج هز النافذة رعد قوي.

أصبحت فيونا وجيليس من العائلة منذ زواجهما، فقد كان جاك نيكولز يعرف عائلتيهما في الشمال قبل أن يشتري العزبة.. وما إن سمع بزواجهما ورغبتهما في الانتقال إلى الجنوب ليكونا قرب شقيقة فيونا حتى عرض عليهما عملاً.

احتبت كاريا على الأريكة الحمراء القاتمة في غرفة الجلوس الحميمة، وصنعت فيونا الشاي في المطبخ الصغير وهي تتحدث معها عبر الباب المفتوح عن الزفاف وعن سعادة والدها التي بدت على وجهه.. تساءلت كاريا لماذا وهي المحاطة بمثل هؤلاء الناس المحبين، كانت حياتها بمثل هذه الفوضى؟ نعم هي ناجحة في

حياتها المهنية.. ولكن حياتها الشخصية كانت خراباً.. لم يكن لديها وقت للأصدقاء فهي تعمل دائماً حتى حين يسافرون إلى أماكن غريبة في عطلات. نادراً ما كانت تلتقي صديقاتها.. أما الرجال فهناك دائماً باري طبعاً.. ولكن لم يعد هناك التقارب الذي تشاركاه في طفولتهما ومراهقتهما.. فقد خرّب غراين برينكلي عليهما هذا.

سألت وهي تتناول الشاي والبسكويت من فيونا..

ـ أين جيليس؟

فجأة أحست بالجوع وتذكرت أنها لم تتناول الغداء. ضحكت فيونا:

ـ ذهب إلى المقهى.. انظري، ستمطر. فليبتل فهو يستحق ذلك.

وجلست في مواجهة كاريا تشير إلى النافذة التي بان منها انهمار المطر بغزارة.. فاعترفت كاريا بالمطر المنهمر بابتسامة لم تخدع فيونا.. فسألت:

ـ ما المشكلة؟ أهو السيد برينكلي؟ رأيتكما تخرجان معاً.

ـ من هو.. فيونا؟

ـ إنه غراين.. غراين بر..

ـ أعرف اسمه فيونا.. لكن والدي لم يخبرني شيئاً عن هذا. لم أصدق عيني حين رأيته يحمل لي القهوة إلى غرفتي هذا الصباح، ثم فيما بعد طلب مني أن أقلّه، والأنكى أنه رجع إلى المنزل وهذا ما لم أحلم به.

ـ ألم تعرفي أنه سيقيم هنا معنا حتى يتم ترميم منزله؟

هزت كاريا رأسها ونظرت إلى عيني مدبرة المنزل مباشرة:

ـ لا أفهم.. أنت تعرفين السبب، أليس كذلك؟



ـ أخبرني بذلك والدك منذ بضعة أسابيع حين كنا نناقش ترتيبات تقديم الطعام والشراب لحفل الزفاف.. قال إن السيد برينكلي سيكون ضيفاً مقيماً معنا إلى أجل غير معلوم.

صاحت كاريا: ولماذا لم يخبرني؟ أنا أعيش هنا أيضاً.. ولي الحق في معرفة من سيشاركني مائدة الفطور.

صبت فيونا لها فنجان شاي آخر.

ـ أعتقد أنه نسي بسبب انشغاله بترتيبات الزواج وما إلى ذلك.

ـ لا أصدق.. فوالدي يدير مؤسسة ضخمة.. ولا ينسى شيئاً أبداً!

قدمت فيونا إليها الشاي:

ـ ألا يعجبك السيد برينكلي إذن؟

وقبل أن ترد كاريا، ضحكت فيونا ضحكة صغيرة:

ـ يقول جيليس إنه شخصية ممتازة. وقد تذكر اليوم الذي جاء فيه إلى هنا من أجل اجتماع مع والدك منذ سنوات طويلة.. أوقف سيارته العتيقة وطلب منه أن يملأها بالماء، لأن «الرديانور» يكاد يحترق. وعلى الرغم من الطريقة التي غادر فيها ذلك اليوم وجد الوقت ليفتش عن جيليس ويشكره على مساعدته.

برقت عينا كاريا فضولاً:

ـ الطريقة التي غادر فيها.. ما قصدك؟

ـ قال جيليس إنه غادر غاضباً غضباً شديداً.

أكانت هي السبب؟ لأنها حاولت التودد إليه.. أشعرها مجرد ذكر الفكرة بالخجل.

ـ الواضح أن والدك طرده، ولم يكن سعيداً بهذا..

ـ طرده؟



www.elromancia.com

عنّت على بالها فكرة رهيبة بأن غراين عاد إلى المنزل ليخبر أباه بأن ابنته كانت تعانق رجلاً وأنها حاولت إغواءه فرفض والدها تصديقه وطلب منه الرحيل.

ـ لا أظن أنني سأفشي سراً.. إذ كان والدك غاضباً كثيراً وقد سمع كل من في المنزل صوته المرتفع.

جلست كاريا مستوية:

ـ سمعوا ماذا؟

قالت فيونا بحزم: الشجار.. طبعاً.. أنا لم أسمع شيئاً لأنني كنت مشغولة في المطبخ أنهي التنظيف بعد اجتماع والدك الطويل.. ولكن جيليس يتذكر، في الواقع كنا نضحك على هذا ليلة أمس أنا وجيليس والسيد برينكلي..

ـ ليلة أمس؟ كنتم تتحدثون بالأمر ليلة أمس؟

جلب المزيد من الخزي والعار النار إلى وجنتيها.. الآن، جميع من في العائلة يعرف بأمر عبثها الغبي مع غراين برينكلي.. فهل ستتمكن من الحياة مع هذا؟

ـ بعد الحفلة صعدت أنت إلى النوم، وكان السيد برينكلي يتناول شراباً ساخناً قبل النوم معنا في المطبخ.. وأنا سعيدة لأن الخلاف انتهى وأصبح والدك والسيد برينكلي صديقين مجدداً.. فالمشاكل التي عمادها المال تدوم وتدوم.

شهقت كاريا، إذن لم يشر غراين إلى محاولتها التودد إليه.

ـ المال؟

ـ استطاع السيد برينكلي أن يضحك على ما جرى الآن.. لكنه قال إنه في ذلك الوقت كاد يلكم والدك على فكه المتعجرف..

ولم تنه فيونا كلامها لأنها سمعت صوت سيارة جيليس تقف في



الخارج فوقفت لتراه من النافذة.. ووقفت كاريا معها.. فلا جدوى من حثها على المزيد من المعلومات.. ومن الأفضل أن تستقيها من المصدر مباشرة.. من غراين برينكلي. تريد أن تعرف سبب الشجار وكيف عادا صديقين حميمين.

التقت بجيليس على الدرج الخلفي المفضي إلى المطبخ. كان يلهث بعد تخلصه من المطر الغزير، وتبادلا بضع تحيات طيبة يتعلق معظمها بنجاح حفلة أبيها، ثم تركتهما كاريا ليستريحا.

دخل غراين برينكلي إلى المطبخ وهي تحضر السلطة فنظر بحيرة إلى الكمية الكبيرة التي تحضرها.. لكنه لم يقل شيئاً، بل تحدثت كاريا أولاً:

ـ أجل.. أنا أحضر عشاءنا.. يبدو أنني عالقة معك. وأقل ما أقوم به هو الترحيب بك من أجل والدي.. أرجو أن تفهم هذا «كدعوة» أخرى.

وقف قرب رف الطبخ يراقبها وهي تقطع البصل الأخضر:

ـ تعلمت درسك.. أليس كذلك؟

تجاهلت قوله لكنها سجلت الملاحظة على لوح تسجيل الكراهيات.. هذه ملاحظة ساخرة أخرى تزيد من احتقارها له..

قالت ببرود وهي تضع البصل في القصعة:

ـ أكل شيء على ما يرام؟ أهو حسبما تريد؟

التقط حبة زيتون من السلطة:

ـ على الصحبة أن تكون أقل برودة.

ـ وماذا تتوقع؟ أن أفرش لك السجاد الأحمر؟ أنا لا أريدك هنا، إنما لا يبدو أن لدي خياراً آخر.. لقد سحرت فيونا ويراك جيليس رجلاً محترماً مرحاً، ووالدي غيّر رأيه بشأنك منذ طردك من المنزل



www.elromancia.com

قبل سنوات. ولا شك أنني الوحيدة التي لا تعتقد أن الشمس تشرق من أجلك.

ضحك ويا للدهشة!

ـ ليتني أستطيع أن أسحرك لأن حياتي ستكون ساعتئذ ذات معنى.

ثم لثم جبينها بسرعة.

مع اتساع عينيها البنفسجيتين دهشة صبَّ اهتمامه على باب البراد الأمريكي المزدوج.

ـ ماذا تفضلين، الليموناضة، أم عصير أناناس؟ الخيار عائد إليك.

فكرت كاريا في أنه لو استطاع الاستمرار على هذا النحو لاستطاعا التوافق حتى عودة أبيها وزوجته ليزيلا الضغط عنها.

ـ بل أفضل مياهاً غازية.. وهناك بيض ولحم سأقدمه مع السلطة.

ضحك: في يوم ما، سأجعل من امرأة محظوظة سعيدة لأنني آكل كل شيء إلا يخنة السمك.. فتذكري ألا تطبخي لي أبداً حساء السمك.

لم تكن مستعدة للرد على هذا التعليق الكاسح.. فالقذر المتعجرف يصدق فعلاً أن المرأة التي ستتزوجه ستكون محظوظة! ويا للمسكينة، كائنة من تكون!

صب كوبين من المياه الغازية ووضعهما على رف المغسلة.

ـ أعتقد أنك تتناولين طعامك هنا.. لا معنى لفتح قاعة الطعام الكبيرة من أجل شخصين اثنين.

يا إلهي.. إنه يتصرف وكأنه في بيته. وضعت قصعة السلطة



بحدة أمامه:

ـ أنا ووالدي نتناول طعام العشاء في غرفة الطعام بغض النظر عما إذا كان لدينا ضيوف أم لا.. ولكن في غيبته..

قاطعها: ترغبين في أن تحلي محله.

وضع لنفسه كمية كبيرة من السلطة.

تابعت بلا انفعال:

ـ أما في غيبته فسأتناول طعامي في الخارج، أما أنت فاجترَّ أينما شئت!

تمتم وهو يتناول لقمة لا بأس بها من الثوم والخبز:

ـ كالبقر!

ـ عفواً؟

ـ البقر يجتر حبيبتي.. وأنا أرفض أن تخاطبيني وكأنني مواطن من الدرجة الثانية.

لم يعد في عينيه الآن أية تسلية.. بل كانتا في الواقع مغشيتان بظلال قاتمة كالغيوم في الخارج. وكان كلامه البارد قد تزامن مع رعد مدوٍ وكان أن أرسلا رعشة في جسم كاريا.. إنه على حق طبعاً.. إذ لن يفيد هذا في محو الفكرة التي يحملها عنها، إنها ثرية مدللة..

تمتمت بدون أن ترفع عينيها عن السلطة أمامها:

ـ أنا آسفة.. كنت فظة.. لكن يبدو أنك تثير حفيظتي.

ـ لأنني أقيم هنا؟ أنا آسف إذا كانت إقامتي ستعيق علاقتك مع أصدقائك من الرجال.. ولكنني أعد أن أكون كتوماً وأختفي..

امتدت يده بسرعة لتمسك معصمها لأنها كانت تهم بترك الكرسي..



www.elromancia.com

قال آمراً: «اجلسي وكلي».

جلست وتناولت كوب المياه الغازية لتحتسيه على مهل. ما هذا؟ ستفقد عقلها قبل أن ينتهي إصلاح كوخه الحقير..

قالت بجرأة: أنا أكره تعليقاتك وتلميحاتك المتعلقة بحياتي العاطفية.. وإن ظننت أنني سأغمض عيني حين تجلب عشيقتك المتزوجة برجل آخر فأنت على خطأ.

ضاقت عيناه: من الأفضل أن نعلن الهدنة قبل أن يتأذى أي منا..

رفعت ذقنها بتحدٍ:

ـ ومن سيطلق الضربة الأولى يا ترى؟

نظر إلى ذقنها، وكأنما يغريه.. ورد بحدة:

ـ قد أكون أنا.. فلست الوحيدة التي تثار حفيظتها بسرعة.. أنت تغرينني بمسح هذه البسمة المتكلفة عن وجهك كلما وجهت إهانة إليّ.

ردت: «إهانة! ظننتها حقائق صحيحة! أعتقد أنك اعترفت بنفسك أن رفيقتك زوجة رجل آخر.. هل أنا على خطأ؟ صحح لي».

ـ سأصححه.. افتراضك غير صحيح قطعاً.. ولا أذكر أنني قلت إننا عشيقان.. بوسي زوجة أخي..

أحست بهزيمة غريبة، وابتلعت قطعة البندورة بقوة.

سألت: «لماذا كانت برفقتك؟»

رد من بين أسنانه:

ـ رباه! ألا تستسلمين أبداً؟

هزت كتفيها: «كانت متعلقة بكّ بطريقة بدت لي غريبة».



شعرت بأنه يقاوم تهوراً يكاد يدفعه إلى توجيه ضربة قوية لها..

تابع تناول طعامه ببطء ليمهل نفسه وقتاً قبل أن يرد بكل هدوء:

ـ يعمل أخي في حقول النفط ويغيب عن منزله كثيراً.. وبوسي لا تخرج إلى أي مكان كثيراً.. إن تعلقت بذراعي فالسبب توترها.. لم يمض على خروجها من المستشفى كثيراً وكانت قد دخلت بسبب فقدانها طفلها الأول.. ولأنها تجشمت عناء مقابلتي في المطار طلبت منها أن ترافقني إلى حفلة والدك.. وقد استمتعت بها ولكنها أرهقتها قليلاً، ولهذا رحلت باكراً.

لم يتكلم أي منهما فترة طويلة.. وأحست كاريا أنها صغيرة حقيرة كذبابة.. أخيراً ابتلعت ريقها وقالت مترددة:

ـ أنا آسفة لأنني أسأت الظن بك.

كان هذا كل ما استطاعت قوله.. وهذا ما يظهر لها أن المظاهر الأولى قد تكون خدّاعة، وندمت فعلاً على كل الأفكار الشائنة التي أساءت فيها الظن بالمسكينة بوسي.

سألت بعدما دفع طبقه الفارغ بعيداً:

ـ أتريد قهوة؟ ما زال لدينا بعض «الكاتو» من بقايا الأمس.

نظر إلى ساعته:

ـ بعد قليل.. أريد أولاً إجراء مخابرة هاتفية.. فقد ذكرني الكلام عن بوسي بالسؤال عنها، فأخي قادم غداً وأريد أن أعرف متى أتوجه لأستقبله في المطار.

وليس معه سيارة.. إذن سيطلب منها أن تقلّه إلى المطار.. ما الذي يصيبها؟ نعم هي ليست تلك المدللة التي يظنها ولكنها تتجه بسرعة في هذا الاتجاه.. ليس سهلاً عليها الامتناع عن الرد بحدة ولكنها ستحاول. ولأنها ستكون في عملها طوال النهار فهي لن تراه

كثيراً. هل لديه عمل؟ هذا أحد الأسئلة التي تريد أن تطرحها عليه قبل أن تبدأ حرب عالمية سخيفة.

قطعت قطعتين من كاتو الغابة السوداء بغية فتح باب السلام.. ولكنه سحب البساط من تحت قدميها حين عاد إلى المطبخ وجلس في مقعده.

ـ كان لدي الوقت لأفكر.. إن أردنا العيش بسلام معاً في هذا المنزل فعلينا إيقاف كل هذا العداء..

صبت فنجانين من القهوة الساخنة، وتمتمت:

ـ موافقة.

رفع حاجبه ممازحاً:

ـ السيدة موافقة.. هذا تقدم فعلي!

حذرته: لا تفسد الأمور!

وضحك لها، فرفعت عينيها البنفسجيتين القاتمتين إليه.

قال: «لا أريد إفساد شيء.. بل أريد الانسجام. لدي عمل أقوم به ولا أريد إضاعة جهدي وفكري في خوض المعارك معك طوال الوقت».

ـ هذا ما يناسبني.. فلدي عمل أديره.. ما طبيعة عملك؟

لم يدهشها رده: «فلنقل إنني تاجر..».

تاجر..

ـ أي نوع من التجارة؟

ـ المعادن المستعملة.

ابتلعت ريقها.. سيارات مستعملة.. هذا ما يفسر أمراً!

ـ أوه.. يبدو هذا مثيراً للاهتمام. هل لي أن أطرح عليك سؤالاً شخصياً؟



ـ شرط ألا يكون شخصياً كثيراً.

ـ عندما كنت هنا سابقاً طردك والدي؟

ابتسم: «وكانت المرة الأولى والأخيرة التي أطرد فيها من أي مكان».

ـ كنت غاضباً كما ظهر.

ـ هل أخبرك والدك بهذا؟

ـ لم يقل لي أبي شيئاً عنك بل سمعت الخبر من فيونا، قالت إنكم كنتم تضحكون على ما جرى ليلة الحفلة.

ـ لكنك لم تعرفي سبب غضبي؟

لم يبدُ عليه الغضب أو السخرية، فاسترخت كاربا وقررت أن تكون صريحة:

ـ خلتك غاضباً مني.. لأنني حاولت العبث والتودد إلى رجل غريب.. كنت يومذاك طفلة ولم أكن أعرف ماذا أفعل.

نظرت إلى عينيه بشجاعة فبدا أنه أدرك مدى الجهد الذي تبذله لتعترف بهذا.

دفع طبقه الفارغ وقال بهدوء:

ـ كنت جزئياً السبب في غضبي.. فقد كنت يومذاك شيئاً آخر لا يمكنني الحصول عليه.

ازداد ارتباكها فأشاحت بصرها عنه لأنها غير قادرة على مواجهة الرقة في عينيه.

ـ لا أعرف ماذا تعني.

ـ ألا تظنين أنني كنت عرضة للإغراء يومذاك؟

أرجعت رأسها نحوه بحدة فاغرة فاها.. تسمرت عيناه على وجهها الجميل ومد يده يلمس وجنتها برقة.

ـ أوه.. أردت إغرائي وكدت تنجحين.. ولكن كل ذلك كان مجرد لعبة بالنسبة لك.. ألم يكن لعبة؟

لعبة! أوه.. لا، لم تكن لعبة.. أبعدت وجهها عن إصبعه وأخفضت رموشها الطويلة بخجل.. إن لمسته استطاعت تشويش مشاعرها..

ـ لا تفعلي هذا.. فله تأثير غريب على قوة إرادتي..

سحبت نفساً عميقاً علها تهدىء أحاسيسها:

ـ أنت.. قلت.. قلت إنني كنت جزئياً سبب تركك المنزل غاضباً.

أضاف المزيد من القهوة إلى فنجانه ثم كسر دائرة السحر التي حاكها بقوله:

ـ السبب الرئيسي كان مبادىء والدك القصيرة النظر، البائدة العهد.

شد التوتر ظهر كاريا.. قد يكون وأباها صديقين الآن، لكن من الواضح أنهما لم يكونا هكذا دائماً ففي لهجته شيء ما يدل على أنه لم يسامح.

ـ جئت إلى هنا منذ سبع سنوات لأقترض من والدك مالاً، هذا عدا أشياء أخرى..

لم تستطع كاريا كبت شهقة حادة..

أردف: لكنه رفض.

نظر إليها مبتسماً وعيناه تختر قان عينيها.

ـ والآن عدت.. لأطالب بما كان لي يوماً، ولآخذ الجائزة التي عرضت عليّ من طفلة جذّابة لم يكن لديها فكرة عن قيمة ما تعرضه.. وأتساءل ما إذا أصبحت تعرف ذلك الآن؟



جفّ فمها وبات غير قادر على الحراك، ولكن عقلها كان يفكر بقوة.. إذن هذا هو سبب وجوده هنا.. المال! وإن كانت كاريا نيكولز ما تزال في متناول اليد فسيأخذ ذلك العرض الصغير أيضاً..

أخيراً تكلمت بعدما استجمعت ابتسامة حلوة ترافقت مع كلمات ممتازة:

ـ ما دام أبي قد رفض إعطاءك المال يومذاك، فلن تغير سنوات سبع من مبادئه.. أما بالنسبة للعرض الذي تأمل به.. فأنا آسفة.. لقد مر عليه دهر.. وأصبح غير متوفر لك..

* * *



www.elromancia.com

# ٤ ـ التحدي الأصعب

استيقظت كاريا في الصباح التالي على وقع إطارات تمرّ على حصى مبلل.. فبدأ عقلها بالعمل.. لقد قال باري إنه قادم اليوم ليلعب معها التنس.. تمنت لو يتابع المطر انهماره فبعد ليلة مؤرقة أصبح لعب التنس آخر ما تفكر فيه في هذا اليوم الجهم.

شدت روبها حولها وفتحت الستائر قليلاً لتنظر إلى الخارج.. كان المطر قد انقطع ولكن السحب ما تزال تنذر بالمزيد.. تقع غرفتها فوق المدخل الحجري المعمّد وكان هناك سيارتان قرب الدرجات المفضية إلى المنزل.. الأولى جاكوار سوداء مذهلة، والأخرى سيارة فورد عادية قديمة.

وكان هناك رجلان يقفان على عتبات المنزل يتحدثان إلى غراين برينكلي الحافي القدمين الذي بدا وكأنه انتزع نفسه بالقوة من سريره.. دونما خجل مالت كاريا على زجاج النافذة لتسمع ما يقال فسمعت نهاية صفقة وأحست بالغضب.

قال غراين: «أنتما في غاية اللطف لأنكما جلبتماها إليَّ في يوم عطلة».

ـ يسرّني التعامل معك سيد برينكلي..

ارتدت كاريا سروال جينز وانتزعت تي شيرت من الخزانة قبل



أن تتوجه إلى الدرج. كيف لغراين برينكلي أن يدير أعماله في تجارة السيارات المستعملة من عزبة ريبورن!

وصلت إلى الدرجة العليا في الوقت المناسب إذ رأت مؤخرة الفورد القديمة الحمراء تتجه ناحية البوابة.. أما الجاكوار فما زالت حيث هي.. كانت برّاقة ورائعة وكان مالكها الجديد يدلي مفاتيحها بفخر من اصبعه الصغير.

ـ جميلة.. أليس كذلك؟

شهقت ما إن رأت الرقم:

ـ إنها جديدة!

ـ أتعرفين؟ كدت أشحن سيارة مثلها إلى الشرق الأوسط.. ولكنها لم تبدُ مناسبة، فانتظرت حتى عودتي إلى انكلترا لأمتع نفسي.

دار حول سيارته بفخر غير مبال بالحصى تحت قدميه الحافيتين.

تسمرت كاريا في مكانها تراقبه في رهبة.. لم يكن غراين برينكلي ما يبدو عليه.. عادت إلى المنزل عابسة ثم اتجهت إلى المطبخ لتطحن حبوب البن بسخط. من كان قادراً على شراء سيارة كهذه لن يحتاج للاستدانة من والدها.. ألعله اشترى السيارة وهو يأمل الحصول على ذلك القرض؟

تناول إبريق القهوة الكهربائي ووضعه في التيار..

ـ ظننت أن الفطور في الفراش اليوم.. وأنت مرتدية قميصك بطريقة خاطئة.

ابتلعت كاريا غضبها متذكرة قسم الأمس بأن تحافظ على السلام، ارتدت عنه لتعيد تزرير قميصها. فلم يقاوم التعليق:

ـ ما أشدّ خجلك!

تجاهلت قوله ولكنها أيضاً لم تستطع مقاومة التعليق:

ـ العمل في السيارات المستعملة مزدهر أكثر مما ظننت.. فهذه الجاكوار باهظة الثمن.

ـ السيارات المستعملة؟

ـ لقد قلت.. قلت.. أما قلت إنك تتاجر بالمعادن المستخدمة؟..

رمى رأسه إلى الوراء ضاحكاً:

ـ أوه.. حبيبتي.. يا لاستنتاجاتك الغريبة.

ـ لا تنادني حبيبتي!

إنه قادر على تحويل الكلمة من تحبب إلى إهانة.

ـ آسف حلوتي.. لكنك لا تقدرين بثمن.

ـ ولا تنادني حلوتي! أما ما أستنتجه فطبيعي. سيارات، طبّاخات قديمة، آلات غسيل، كلها خرداوات.. أليس كذلك؟

ـ أجل.. وكذلك الطائرات النفاثة القديمة!

ـ الطائرات النفاثة؟

أيمزح؟

رن جرس الهاتف، وقبل أن تمد يدها إلى سماعة الهاتف الموضوع قرب البراد انتزعها غراين.

ـ آلو.. لا.. أنا آسف، غير موجودة.. لقد تأخرنا في النوم هذا الصباح وهي تطهو لي الفطور..

ارتفعت ذراعه تحمي نفسه لأن كاريا وثبت نحو الهاتف ولكنه بقوة فيل أبقاها بعيداً:

ـ الطقس غير مناسب للعب التنس؟ لا أستطيع إلا أن أوافقك



الرأي يا فتاي العزيز.. لا.. وبعد الظهر غير مناسب أيضاً على ما أخشى.. سنخرج في مشوار.

وأعاد السماعة إلى مكانها وتعامل مع كاريا بكلتا يديه ليثبت ذراعيها إلى جنبيها.

صاحت به: «هل فقدت صوابك؟ لقد قدت باري إلى الظن بأننا أمضينا الليل معاً.. ثم كيف تجرؤ على زج أنفك في حياتي.. وكيف تجرؤ على الافتراض بأنني أخرج معك؟»

أمسك بها بشدة كادت تمنع تدفق الدم، وأحست بوخز كالأبر في ذراعيها.. فاشتعلت عيناها البنفسجيتان تحدياً وكأنهما حجران كريمان تحت نظرته القاطعة للألماس.

أفلتها ليحيطها بذراعيه برقة في البداية ثم بقوة.. فشعرت بأنها ضعيفة، وبأنها أشبه بحورية بين ذراعيه.. فتحت قبضتي يديها ببطء لكنها لم تستطع أن ترفعهما لتعانقه كما ترغب.. كم تشتاق إلى عناقه.. ولكن إرادتها وقوتها تلاشتا وكأنه استنزفهما منها في هذا العناق الطويل.

ابتعد عنها قليلاً ثم تمتم بإغراء في أذنها: «الآن أخبريني.. من تفضلين قضاء العصر معه؟»

صاحت بجنون: أيها القذر! أفضل أن ألعب التنس مع باري وسط إعصار على قضاء لحظة أخرى معك!

نزلت يداه إلى ظهرها، ليمسك خصرها النحيل، ويشدها إليه.. شهقت كاريا بسبب ردة فعل مشاعرها.. إنها تريده وهي اليوم يائسة أكثر من المرة الأولى..

أبعدت نفسها بالقوة عنه.

ـ هذا لن يفيد.. وجودك في هذا المنزل..

قاطعها مبتسماً: «إذن ما زلت تريدينني؟»

في الواقع لم يكن لديها رد على هذا.. إنه ليس غبياً.. ولا شك أنه يعرف مدى تأثيره فيها.. كم كانت غبية لأنها أظهرت ضعفها.. لماذا لم تقاوم تحرشه كما قاومت كل رجل آخر اقترب منها؟ لأنه ليس كأي رجل آخر.. إنه غراين برينكلي.. ذلك الخيال الذي أصبح واقعاً.

تمتمت وهي تخفض رموشها:

ـ سبق أن قلت لك إنني كنت يومذاك طفلة.

ـ أعرف هذا.. وهو أحد الأسباب الذي جعلني أمسك زمام نفسي. لقد أردتك ذلك اليوم ولست فخوراً بهذا. أعترف أن جزءاً مني أرادك في فورة غضب لأعاقب أباك.

اشتعلت عيناها غضباً:

ـ لأنه لم يقرضك المال؟

حاولت التحرر منه ولكنه شد قبضته على خصرها وقال:

ـ أجل.. ولكنني كنت غاضباً من نفسي لأنني لم أتمكن من إقناعه بأن أفكاري أفضل من أفكاره.. كنت يومذاك في السادسة والعشرين وغير ذي خبرة لذا غلبني والدك بالكلام.. ولو استغليتك يومئذ لكنت عاقبت والدك وعاقبت نفسي ولكانت لحظة سأدفع ثمنها طوال حياتي.

ترنح جسدها.. فتركها وعيناها تحترقان.. ارتدت إلى إبريق القهوة وسألت بشجاعة:

ـ وهل كان سيسعدك ذلك؟

ماذا لديها لتخسره؟ لقد حطم ما تبقى من ثقتها بنفسها ذلك اليوم.. لذا لن يواسيها اعترافه بأنه كان يريدها، فالأسباب كانت



رهيبة..

وقف إلى جوارها يراقبها تسكب القهوة في الفنجان بأصابع مرتجفة. حين وضعت الإبريق من يدها أطبقت إحدى يديه على يديها وارتفعت الأخرى لتدير وجهها نحوه.

ـ لكان ذلك أبعد من التصديق.. ولكان ما سيحدث..

وصمت.. فسألت مرددة:

ـ لكان؟

قال برقة: «حتماً! أتعتقدين أن شخصين مفعمين بالحياة قد يعيشان معاً بدون أن تمتد يد الإغواء؟»

ردت مقطوعة الأنفاس:

ـ لست فقط أكثر الرجال غروراً بل أغباهم أيضاً.. أتعتقد أنني لم أعرف مأربك؟ لقد أردت معاقبة أبي منذ سبع سنوات ولكنك تراجعت بسبب تأنيب الضمير. حسناً.. لن يردعك الآن رادع عن هدفك.. أليس كذلك؟ لكن هناك أمر واحد أيها الفتى العزيز وهو أن السيدة أصبحت غير راغبة! الفتاة المراهقة الثرية المدللة كبرت، وباتت تفهم أمثالك من الأنذال.

قال ببرود: «أتظنين أنني ما زلت أريدك من أجل الثأر من والدك؟»

ـ حسناً أليس هذا صحيحاً؟

ـ قلت إن جزءاً مني أرادك في فورة غضب.. أما الآخر فقد أرادك لأنك أجمل مخلوقة رأتها عيناي.

صاحت بجنون:

ـ توقف عن هذا! لا تظننَّ أبداً أنك قادر على مداهنتي حتى أقع بين ذراعيك.

ـ آمل ألا تقعي لأنني أظنك أرجح عقلاً.

ـ إذن لماذا تقول أشياء كهذه؟

ـ لأنها الحقيقة.. وبعد سبع سنوات أخرى ستبقين أجمل مخلوقة رأتها عيناي، واعلمي أنني أريدك الآن أكثر مما مضى.

احتست كاريا قهوتها فلذعت سخونتها فمها ومع ذلك لم تكترث. ولو تركت لنفسها العنان لقالت الكلمات ذاتها عنه فها هي واقفة هنا قربه تشعر بالمشاعر تمزقها.. لذا ما الذي يغضبها؟

سألها: «لماذا أنت عابسة؟»

ـ تصارع مشاعر.. خلت أنني أعرف نفسي جيداً ولكن الواضح أنني لا أعرفها.

صمتت لحظات وهي تستوعب هذه الفكرة.. ففي كل السنوات التي أمضتها في الدراسة كان هناك رجل لا اسم له إلى جانبها.. وكانت تظن أنه الدافع لإثبات جدارتها.. ولكنها الآن تدرك أن الأمر أعمق بكثير.. وهذا الإدراك كان مثيراً للاضطراب بحيث لم ترغب في التفكير فيه.

قالت بثبات: «أعتقد أن علينا تنظيم أنفسنا وحلّ شيء واحد قبل أي شيء آخر.. وهو أنني لن أستسلم لك».

ـ لم أطلب هذا.

ـ لكنك تفترضه.

ـ لأنني أعرفه.

وتخلت عن هذا الخط من الهجوم:

ـ أنا أترك المنزل وأتوجه إلى العمل كل يوم في الثامنة صباحاً، وأشك أن أعود قبل الموعد ذاته في المساء..

ـ ماذا تحاولين قوله؟



أغمضت عينيها:

ـ لو صمتّ وأصغيت لفهمت.

حين فتحت عينيها مجدداً كان قد ابتعد ليضع حمّاصة الخبز في الكهرباء، ولكنها لاحظت ابتسامة تغطي فمه فأردفت:

ـ وأنا لا أرى ما المضحك في هذا.. أحاول إخبارك عن روتين يومي لتبتعد عني في المستقبل.

تقدم إلى البراد ليأخذ الزبدة.. ولأنه لم يفه بكلمة شعرت بأن غضبها يزداد. إنه يعاملها بتسامح.. هذا ما هو صريح وواضح.. لكنه لن يثنيها من عزمها.

ـ قم بأية ترتيبات منزلية مع فيونا.. إنما فلتكن معقولة.. لا أريد أن تعاني من العمل الإضافي بسببك. الفطور في السابعة والنصف والواقع أنني أفضل أن أتناوله بمفردي. متى تتوجه إلى عملك في الصباح؟

وضع الزبدة بكثافة على التوست وأضاف المربى قبل أن يرد:

ـ لا أريد إفساد أيامك.. لذا سأتجنبك في الصباح كما أتجنب الطاعون.. أما عن موعد الانطلاق إلى العمل فأعلمك أنني لن أذهب إلى أي مكان عدا تفقد أعمال البناء لأن عملي سيكون هنا.

قضم التوست وهو ينظر إليها.

ـ هنا؟

ـ أجل.. لدي الهاتف وهذا كل ما أنا بحاجة إليه في الوقت الراهن.. لذا سأعمل من هنا، من منزلي في الأشهر القادمة، ومنزلي على ما يبدو هو هذا المنزل.

ضاقت عيناها وقالت بحدة:

ـ لا تكن معتداً كثيراً بهذا.. لا أدري ما الذي دفع والدي إلى

استضافتك.

ـ حسناً، لقد دعاني وآن لك أن تتقبلي الواقع.. وليس ذلك فحسب بل منحني حرية البقاء في المنزل المدة التي أريد.. لذلك سأتناول الطعام أينما أردت، ومتى أردت سأدخل وأخرج وأجري ما أريد من الاتصالات الهاتفية ولن يكون لك شأن في كل ذلك.

قالت محتجة: «ولكنه منزلي أيضاً».

لم يكن والدها منصفاً أبداً لأنه رمى هذا الرجل في طريقها.. كان يجب على الأقل أن يناقش أمره معها.

أضاف برقة: أعرف.. وسأبذل جهدي لئلا أزعج روتينك اليومي.. أنا آسف كاريا.. أفهم ما تمرين به.. أنت غاضبة مني ومن والدك لأنه لم يخبرك باتفاقنا.. ولكن الغلطة ليست غلطتي. سأحاول ألا أكون مصدر إزعاج كبير لك.

نظر إلى ساعته:

ـ اسمعي.. لماذا لا ترافقينني إلى المطار للقاء أخي؟ سيفيدك الخروج من جو المنزل.

اعتبرت كاريا العرض تسلطاً فتشنج جسدها ورفعت رأسها بكبرياء:

ـ لا أريد الخروج.. شكراً لك بل أنا غير مهتمة بلقاء أخيك إذا كان مثلك.. ثم كان لدي حياة تجري قبل أن تدخل هذا المنزل.. ولدي خطط أخرى.

ـ حسناً.. لا تتورطي كثيراً.. فسنذهب في تلك النزهة فيما بعد.

هذا ما تظنه أنت.. لأنني لن أذهب معك إلى أي مكان!

دار حول سيارته الجديدة قبل أن يصعد فيها وينطلق.. الواضح



أنه مسرور بها.. وهذا ما جعلها تفكر في أنها لم تختبر مثل هذه البهجة من ذي قبل، فقد اعتادت على مثل هذا البذخ ولكن سيارتها التي اشترتها بعرق جبينها لم تعطها مثل هذه الإثارة. عندئذ تساءلت عن حياته وعن عائلته.

التقطت سماعة الهاتف قرب سريرها. ربما لم يقم باري بترتيبات أخرى لهذا اليوم. نظرت من النافذة.. كانت السحب تنذر بالشر وتلوح فوق الرؤوس ولكنها لم تكن تمطر. ربما سيتمكنان من لعب التنس على أي حال.

وضعت السماعة من يدها قبل أن تتم الاتصال، ومررت أصابعها في شعرها.. إنها لا تريد رؤية باري..

كان المنزل صامتاً مثل غرفتها، فراحت تتجول من غرفة إلى أخرى في الطابق الأرضي.. غرفة الجلوس، غرفة الطعام، غرف الاستقبال التي لا دور لها غير إظهار مدى نجاح جاك نيكولز...

استقرت أخيراً في المكتبة وهي غرفتها المفضلة من المنزل كله.. في الشتاء يوقد جيليس النار فيها بعد العشاء فتخلو إليها مع أبيها للراحة ومشاهدة التلفزيون أو للعب الورق، أو الحديث والجدال.. فيها مئات الكتب المصفوفة في مكتبات مقفلة بالزجاج من طراز الريجنسي.. وفيها أرائك منجدة بالمخمل الطري.. كان المكتب الأثري المصنوع من خشب الماهوغوني مستريحاً أمام نوافذ زجاجية طويلة تطل على المروج الخضراء، وكان يحيط به على الجدران المكسوة بالخشب لوحات وصور للأسلاف.

هل سيزين غراين برينكلي جدران كوخه القرميدية بكنوز العائلة؟ وانزعجت لأنها لم تستطع إخراجه من رأسها.. لكن سيكون من المثير للاهتمام رؤية ما سيفعله بمنزله.

دست كنزة فوق قميصها الحريري وهرعت إلى الخارج تقصد النهر وتتجنب المنزل الصيفي.. ابتسمت بخشونة لنفسها، شكراً لغراين برينكلي لأنها لم تعد بحاجة إلى عزلة المنزل الصيفي.. فقد أفسد حتى هذا عليها.

عادت فيما بعد إلى المنزل متعبة إلى حد ما ومستريحة أيضاً بعد تنزهها سيراً على الأقدام.. تناولت الغداء بمفردها في المطبخ ثم صعدت لتستحم ولتغسل شعرها.. أحست أنها أفضل حالاً بكثير فقررت القيام ببعض الأعمال المكتبية تحضيراً لليوم التالي.

سمعت الجاكوار تعود هادرة في وقت ما من بعد الظهر.. فعبست. نادته من باب المكتبة وهو يرتقي الدرج وثباً:

ـ كيف تخرج وتدخل من البوابات الآلية؟

ـ لقد أعطاني جيليس جهاز التحكم الإضافي.. حسناً.. أنا سعيد لأنك جاهزة.. سأحضر المفاتيح ثم ننطلق.

ـ ننطلق.. إلى أين؟

ـ قلت إننا ذاهبان في نزهة.. فقط إلى «براملي» فأنا بحاجة إلى نصيحتك بالنسبة للبيت.

وتابع ارتقاء الدرج بسرعة فبدا وكأنه كان يعيش هنا دوماً.

وقفت كاريا في باب المكتبة محاولة لملمة شتات أفكارها.. ظنت أنها أوضحت له أنها لن تخرج معه وأنها تريد أن تتجنبه في المنزل مهما كانت الأسباب، ومن الواضح أنها مضطرة لإعادة طلبها.

قالت:

ـ اسمع.. لدي عمل أنجزه، ولا وقت عندي لمساعدتك في إصلاح خم الدجاج ذي الحجارة القرميدية.



كان باب غرفة نومه مفتوحاً فوقفت مصعوقة إذ بدت الغرفة مختلفة تماماً عما كانت يوماً.. طالما أقامت زميلاتها في المدرسة في هذه الغرفة التي ما تزال تحتفظ بأثاثها المكون من خشب الصنوبر الأثري والقماش الوردي القديم المطعم باللون العاجي.. ولكنها كانت في ما مضى ذات مظهر أنثوي، أما الآن فهي تبدو محشوة بممتلكات صغيرة ولم يكن غراين شخصاً مرتباً، فهناك سروال من الجينز مرمي على ظهر كرسي وعدة قمصان وبذلات وسراويل معلقة داخل وخارج خزانة الثياب المزدوجة. أما طاولة الزينة تحت النافذة العريضة فتغطيها الأوراق وخرائط..

صاحت: «يا إلهي.. ستصاب فيونا بنوبة قلبية حين ترى هذا».

رفع غراين رأسه عن الحقيبة التي كان يفتش فيها:

ـ أجل.. هذا ما ستصاب به. ولكن لا يمكن للمرء تغيير نظام حياته في يومين.

ـ أتعني أنك كنت تعيش في زريبة حيوانات وأنت في الخارج؟

قال بصوت أجش:

ـ بإمكانك أن تكوني سليطة اللسان.. أليس كذلك؟.. «أوريكا» وجدتها.

وأمسك المفاتيح بانتصار:

ـ هيا حلوتي.. أحضري معطفك.

ـ سبق أن قلت لك أن لا وقت عندي..

ـ يجد المرء وقتاً لما يريد.

أخرجها من غرفته ودفعها إلى غرفتها.

ـ أنا بحاجة إلى مساعدتك كاريا.. إذ لا يستطيع الرجل ترميم وترتيب منزل بمفرده. لمسة المرأة مطلوبة خاصة لمستك.

ـ ألا تعني مفروضة؟

ـ سمها ما شئت . . ولكنك آتية معي أردت هذا أم لم تريديه .

وجدت نفسها ترتدي سترة موهير حمراء ساعدها هو على ارتدائها، وحملت تقريباً على الدرج . . كانا يخرجان من الباب حين نادت فيونا في الممر :

ـ متى تريدان العشاء سيد برينكلي؟

ـ في التاسعة فيونا . . شكراً لك .

صاحت ما إن جلسا في السيارة :

ـ أنت لا تصدق . . من يراك تلقي أوامرك على هذا النحو يظنّك تملك عزبة ريبورن .

ـ أنا لم ألق أوامر بل استجبت ببساطة لسؤال بسيط .

عقدت ذراعيها بسخط على صدرها ودمدمت :

ـ أنت تتولى السلطة .

ابتسم بغموض، فنظرت إليه بقلق :

ـ لقد اشترط والدك عليّ من بين ما اشترط الاعتناء بك في غيبته .

ـ أنا قادرة على العناية بنفسي وشوؤني الخاصة . . شكراً كثيراً لك .

ـ أنا واثق من هذا .

أطلت الشمس إلى العلن للمرة الأولى ذلك النهار فتساءلت كاريا المنزعجة ما إذا كان قد رتب هذا الأمر كذلك .

ما إن تقدما إلى الطريق الوعرة المفضية إلى الكوخ القرميدي الأحمر حتى عنّ على بالها فكرة . .

ـ لم تتأخر كثيراً في اصطحابّ شقيقك من المطار إلى منزله .



ـ أكنت تسجلين الوقت؟

ـ أبداً . . لدي ما هو أهم من تسجيل وقت دخولك وخروجك . . ولكن عنّ ببالي أن أخاك لا يعيش في مكان بعيد عن هنا، وأنا مستغربة لأنك لا تقيم معه بدل إزعاجي في منزلي .

ـ أراد مني والدك أن أقيم في ريبورن .

ـ لا أرى سبباً لذلك .

ـ لا . . في الوقت الراهن لا أظنك قادرة . . لكن كل شيء سيتضح في الوقت المناسب .

نظرت إليه متوترة : «ماذا تقصد؟»

هز رأسه : «ليس لي أن أقول» .

ـ اسمع . . لا يمكنك قول شيء كهذا وتركه معلقاً في الهواء .

ـ ولكنني فعلت هذا للتو . . فلنعد إلى الحديث عن أخي . . الذي كثيراً ما يغيب عن منزله ولا يقضي إلا وقتاً محدداً مع بوسي . . مع أنه لم يمضِ على زواجهما وقت طويل . . سأقف في طريقهما إن أقمت معهما .

قالت بحبور : «إذن لن تقيم في ريبورن أكثر من شهر» .

عبس وهو ينعطف بالسيارة إلى الطريق الضيقة المفضية إلى الكوخ .

ـ ماذا تعنين؟

ـ حسناً . . سيعود والدي بعد أربعة أسابيع وستصبح عانقاً في وجهه وزوجته .

لم تستطع منع ابتسامة النصر من اعتلاء شفتيها . . ولكنه ضحك فامّحت البسمة عن وجهها .

ـ لا تهتمي أبداً حلوتي . . بإمكانك الانتقال معي .



www.elromancia.com

ـ هاي! لقد تجاوزت المفرق!

تابع سيره:

ـ إلى الكوخ؟ إنه كوخ للخدم.. هذا حين يصل بي الأمر إلى استئجار خدم.. وهذا شيء آخر قد تقدمين لي فيه النصيحة.. فلست واثقاً من عدد الخدم الذين قد أحتاج إليهم. ما رأيك؟

توقفت الجاكوار أمام منزل قديم باهظ التكاليف، لا يحلم باقتنائه سوى ثري كبير.. تسمرت كاريا في مقعدها مصدومة، مخدرة الحس عاجزة عن التفوه بكلمة.. إن هذا الرجل لأكثر من لغز غامض. إنه ظاهرة لا مجال لسبر غورها.

وقف القصر الريفي أمامهما بأبراجه العديدة ونتوءاته الكثيرة وبقدمه.. مع ذلك..

كانت الشمس تشرق بروعة فوقه، وبدا أن المنزل ينتفخ كبرياء لدى ترجل مالكه الجديد من السيارة ووقوفه للتحديق إليه.

ترجّلت كاريا ببطء ونظرت إلى الأعلى نحو النوافذ الزجاجية الكبيرة التي تبرق في النور كالذهب والفضة. اغرورقت عيناها لسبب مجهول بالدموع.. ما من أحد يرغب في هذا المنزل.. إنه بشع غالي الثمن، كان الجميع ينظر إليه ويضحك.. لكن غراين برينكلي لم يكن يضحك.. بل كان الفخر يلمع في عينيه.

في تلك اللحظة أدركت كاريا أنها لا تعرف هذا الرجل أبداً.. فهذا المنزل يعني أكثر من حجارة وبلاط.. ويبدو أنه حلم تحقق.. هدف أنجز.. أرادت بيأس أن تعرف ما كانت قوته الدافعة.. لا شك أن الدافع في أعماق ماضيه راسخ.

عبث نسيم بارد بشعرها فدسته بنفاد صبر وراء أذنيها لئلا يمنع عنها الرؤية.. سار غراين ببطء نحو الباب الأمامي الضخم.. عندما



كان يهمُّ بإخراج المفتاح ارتدَّ نحوها وابتسم.

ردت كاريا الابتسامة، وسرى أغرب إحساس في كيانها... إن هذا كله خيال بالتأكيد يفسره النسيم البارد الذي أخذ يهب بشدة.. ولكن بعدما أدار غراين المفتاح في قفل الباب الكبير بدا أن المنزل تنفس الصعداء.

انفتح الباب بسهولة أثارت الدهشة، ودخل غراين إلى الداخل. انتظرت كاريا بضع لحظات قبل أن تخطو نحوه. وعاد إليها ذلك الإحساس الغريب. لم تفهم السبب فكل ما عرفته أنها أرادت أن تكون معه في هذا المنزل الغريب الذي كان يتمتم لشمس العصر.

نادت بصوت منخفض:

ـ غراين.. انتظرني.

* * *

## ٥ ـ حديث عن الماضي

سألت كاريا في همس وقور:

ـ هل اشتريته فعلاً بواسطة الهاتف؟

إنه تأثير المنزل فيها.. إنه أشبه بالكنائس فالزخرفة تعج بجدرانه الداخلية والخارجية ولأنها خشيت أن يتردد صدى صوتها إلى الأبد راحت تهمس همساً.

ـ كان معروضاً للبيع منذ وقت طويل وقد أعلن عنه في مجلة «الحياة الريفية». لقد أحسست بالشفقة عليه فقررت شراءه.. إنه ذو تاريخ مشوّق.. بناه لورد غريب الأطوار للمرأة اللندنية التي يحبها، وقد رهن حتى نفسه ليدفع تكاليفه.. ولكنها كرهته بمجرد النظر إليه ورفضت العيش معه فيه.. ففقد أعصابه وخنقها.

ارتدَّ عن رف الموقد الحجرية الكبيرة في الردهة الضخمة وابتسم لكاريا:

ـ دفنها خلف الألواح الخشبية التي تكسو الجدار الذي تقفين قربه.

ابتعدت كاريا عن الجدار بسرعة وكأنه يشتعل ناراً..

ـ عاش هنا بضع سنوات راح خلالها يفقد عقله ببطء. أخيراً ربط حجراً حول عنقه ورمى نفسه في النهر.



نظرت كاريا إلى الجدار وكأن الجثة ما تزال موجودة.

ـ وماذا عن الجثة؟

ـ اكتشف أمرها في العشرينات.. أي بعد خمسين سنة على موتها، ووجد معها رسالة من اللورد يخبر فيها العالم ما جرى ويطلب أن يعاد دفنها قربه.

ضحك غراين: «القصة والمنزل راقا لطبيعتي الرومانسية».

ـ أعتقد أن لا بد من وجود طبيعة رومانسية فيك لتشترك في مجلة «الحياة الريفية» وأنت في الشرق الأوسط.

ضحك: كانت شكلاً من أشكال المواساة.. أنا أحب انكلترا واشتقت لكل شيء فيها.

جلست كاريا على الدرجة السفلى من الدرج السنديانى العريض.. وقالت:

ـ ما دمت تحب بلادك كثيراً هكذا فلماذا سافرت؟

ـ لقد أجبرني والدك على السفر حين رفض إقراضي المال. أردت إنشاء مصنع لإعادة تصنيع الفولاذ، ولكنه اعتبر أفكاري متطرفة فكان أن سافرت إلى حيث لا يسخرون من أفكاري.

قالت بفظاظة: ومنذ ذلك الوقت وأنت تحمل الضغينة في صدرك ضد والدي.

ـ بالعكس.. لقد خدمني والدك أكبر خدمة.. لا شيء يدفع المرء إلى النجاح كالثأر والفقر.

لو كان هناك من يفهم هذا لكان كاريا.. نعم لا تنكر أنها لم تكن قط فقيرة.. لكن الثأر كان دافعها.. لتظهر لذلك الرجل المتعجرف الذي صدها منذ سبع سنوات أنها ليست فتاة مدللة عديمة القيمة.. الآن هو هنا، عاد إلى حياتها ويثأر من والدها، ليثبت أن



www.elromancia.com

جاك نيكولز كان مخطئاً وأنه كان على حق.

ـ هكذا كوّنت ثروتك بدون مساعدة أبي.. وعدت لتتباهى.

راقبته يمرر أصابعه عن غير وعي فوق زخرفة الموقد المتسخة.

ـ لا وزن للتباهي أمام والدك بل لن يكون أي منا سعيداً به.

ـ إذن لماذا عدت؟.

ـ عدت لأنني اشتريت هذا المكان ولأنني أريد أن أعيش فيه.

لم يكن هذا هو الرد الذي ترغب في سماعه.. أحست أن والدها متورط أكثر من هذا في عودته ولكنها أذكى من أن تمضي في هذا الموضوع.

ـ إذن.. لقد جنيت ثروة في الخارج وعدت الآن إلى انكلترا. فما هي خططك؟ البدء بعمل جديد؟

ـ لدي عمل.. فاين ميتال. إنها..

ـ فاين ميتال؟

هبّت كاريا واقفة.. فشركة فاين ميتال كانت تشغل حيزاً كبيراً من الاهتمام في سوق الأسهم.. اللعنة.. ليتها انتبهت أكثر للأمر يومذاك!.

رفع حاجبه الأسود بتساؤل بسبب ردة فعلها:

ـ هل ذكر لك أباك الشركة؟

ـ لا.. هو لا يخبرني شيئاً.. الأمر فقط..

هوت فجأة كتفاها.. لقد آن الوقت لتكون صريحة مع غراين برينكلي.

تقدم نحوها يسأل:

ـ ما الأمر؟

عادت للجلوس على الدرج ورفعت رأسها تبتسم له.. شدت



سترة الموهير الدافئة حولها.. إنه منزل بارد..

قالت: «أجلس».

انتظرت حتى استقر قربها، ثم أردفت:

ـ حين وصلت ظننتك رجلاً مجهولاً مفلساً، لكنك لست هكذا. أليس كذلك؟

ـ لقد ارتفع تقديرك لي الآن.. صحيح؟

ردت بالحقيقة:

ـ سأكون كاذبة لو أنكرت.. لقد ورثت الكثير من طباع أبي فأنا لا أضيع الوقت مع..

استبق قولها:

ـ مع أشخاص غير أثرياء وغير ناجحين.

ـ لم أقل هذا. لكن هناك قدر من الحقيقة فيما قلت، وأشك في أن يعرض عليك أبي ضيافته لو عدت بعد سبع سنوات تطلب منه المال.

أكد على صحة هذه النقطة بإطراقة من رأسه.

ـ لكن هذا ليس ما أسعى للوصول إليه.. كان عندي انطباع خاطىء عنك حين وصلت.. أما الآن فأنا أعرفك بشكل أفضل.. وأريد منك أن تعرف أنني لست ما أظهر عليه.

تحرك بلا ارتياح على السلم:

ـ إذن تريدين إخباري عن الجمعيات الخيرية التي تعملين من أجلها، وعن الخير الذي تقدمينه للمجتمع.. فهذا ما تشغل بنات الأثرياء أنفسهن به.. صحيح؟

تصاعد غضبها لكنها هدأته بذكاء:

ـ سأتورط في شيء كهذا في يوم ما.. لكنني الآن في الثالثة



www.elromancia.com

والعشرين فقط وحياتي مملوءة بالعمل.

وقف غراين وراح يتحرك في الردهة الضخمة ليتفحص الأضرار في الكسوة الخشبية السنديانية.. وارتفع صوت كاريا ليتردد صداه في المكان:

ـ أنت لا تهتم بما أقول.. أليس كذلك؟

ارتد إليها يتفرس فيها بعينين دخانيتين:

ـ بل تثيرين اهتمامي كثيراً..

وقفت مجدداً وسارت ببطء نحوه.. ثم فتحت سترتها لتكشف عن قدّها المياس.

ـ هذا ما يثير اهتمامك.. أليس كذلك؟ أما ما في رأسي فلا يهمك أبداً.. صحيح؟

عبس فأردفت:

ـ أجل.. من الأفضل أن تبدو حائراً، غراين برينكلي.. أنت صديق حميم لوالدي، وأنا أفهم السبب.. فلديكما التعصب ذاته ضد النساء.. أنا أعمل لأكسب رزقي ولا أعمل في محل فاخر كما كنت تظن، بل لدي شركة مالية تسويقية خاصة بي.. أسستها من أموال تأمين عائلي.. هذا صحيح، ما كنت لأستطيع تأسيسها بدون ذلك المال.. ولكنني أؤكد لك أن كفاحي لإنجاحها ليس مختلفاً عن كفاحك!

اتجهت إلى الباب الأمامي غاضبة تشعر بالمرارة.. ولكنه أوقفها وهي تحاول جاهدة فتح القفل الصدىء.. جذب يدها عن الباب وسأل:

ـ هل سمعت بشركتي في شركتك؟

ـ أجل.. إنها تثير بعض الاهتمام.



نصحها بحكمة:

ـ حسناً.. لا تصغي للشائعات.

نظرت إليه بفضول فالشائعات كثيرة في عالم المال.. قالت بلؤم وكأنها شامتة:

ـ أنت على وشك الإفلاس.. أليس كذلك؟

ابتسم ساخراً:

ـ لو كنت مكانك لما تجرأت على إطلاق مثل هذه الشائعة.

قالت ببرود وهي تعي أن يده ما تزال تمسك يدها:

ـ هل تهددني؟

ـ بل أحذرك.. فأنا لا أحب رؤية أسهمي تتساقط كالتفاح العفن من الشجرة.

امتدت يده وأخذ يداعب بشرة يدها الدافئة.

ـ بمقدار ما أجد هذا الحديث ساحراً، أود الرجوع إلى السبب الرئيسي الذي دفعني للمجيء إلى هنا.. أترين.. أنا لا أهتم إن كنت عبقرية هذا العصر أو إن كان عندك نصيب وافر من الذكاء، ولكن هناك أشياء لا يستطيع الرجل أن يفعلها بمفرده.

تسمرت كاريا لأنها توقعت أن يعانقها ثم ظهر عليها خيبة الأمل حين لم يعانقها.. فضحك برقة:

ـ أنتن النساء تردن كل شيء على طريقتكن، أليس كذلك؟ تطالبن بحقوق متساوية برمشة من جفونكن.

ـ ومن جاء على ذكر المساواة في الحقوق؟

ـ أنت، بطريقة غير مباشرة.. اعتقدت أنني سأقدر قيمتك أكثر إن عرفت أنك تديرين عملك الخاص.. لكن هذا غير صحيح، وأنت على حق، لست مهتماً.. سوق المال أو محل سيان عندي إذ



www.elromancia.com

لن يكون لذلك فرق كبير في الفراش.

صاحت كاريا: «أنت وقح كريه!»

ـ لا.. بل صادق.. هذا كل شيء.. والآن هل نتابع اهتمامنا بالمنزل؟ سأريك المكان وبإمكانك فعل أي شيء طبيعي يتبادر لذهن أية امرأة.. انصحيني كيف أجعل من هذا بيتاً لي.

ـ سأقدّم لك في هذه اللحظة نصيحتي وهنا. أشعل عود ثقاب في مستودع النفايات هذا..

ـ حذار.. تعرفين ما حدث لتلك الثرية التي سخرت من ذلك اللورد الغريب الأطوار.

امتدت يده تداعب عنقها، لكن القشعريرة التي سرت في ذراعيها وظهرها لم تكن بسبب الخوف..

أضاف: أنت لا تخدعينني كاريا.. كنت أراقبك.. كان لهذا المنزل التأثير ذاته عليك الذي شعرت به حين رأيته للمرة الأولى.

قالت بصوت أجش: «لا أعرف ماذا تعني».

واستندت إلى الباب السنديانى الضخم.

ـ لبعض الأشياء هذا التأثير من النظرة الأولى.. أليس كذلك؟

لم ترد.. لم تستطع الرد، فهي تعرف أن هذا صحيح. لقد عرفت من النظرة الأولى إلى هذا الرجل أنه سيكون مميزاً في حياتها. ولكنه الآن يتحدث عن منزله الغريب لا عن الحب.

علقت شهقة في حنجرتها.. الحب.. كيف توصلت إلى هذا الاستنتاج؟ إنها لا تحبه.. إنه يثير أعصابها أكثر من أي شيء آخر.. لكن ألا تبدأ القصص الغرامية هكذا؟ لكن تلك القصص التي قرأتها بنهم في مراهقتها مجرد قصص خيالية.. وهذه هي الحياة وهي مصممة على عدم الوقوع في حب غرّاين برينكلي.



أخيراً تمكنت من القول قبل أن تبتعد عن الباب:

ـ أعتقد أن من الأفضل استشارة مهندس بارع وفريق ديكور.

خطا بعيداً عنها ليفسح لها المجال لتجتاز الردهة وصولاً إلى الموقد.. راقبها وهي تنظر إلى الموقد بحزن.. وكأنها تتوق إلى رؤية النار تشعل الحياة في المكان.

انضم إليها قرب الموقد:

ـ قلت إنني أريد بيتاً.. لا معرضاً.. ولهذا اصطحبتك إلى هنا.. أريد منك أن تساعديني على جعل هذا المكان بيتاً.

كان يجب أن تسأل: لماذا أنا؟ ولكن جرأتها خانتها. فهو يملك عدا عن قدرته على إثارة أعصابها القدرة على إرباكها إرباكاً يجعلها لا تعرف ما تفكر أو تصدق.

استسلمت على مضض:

ـ أولاً يجب أن تفعل شيئاً بشأن التدفئة.

ابتسم: فكرت في نظام تدفئة تحت الأرض.

رفعت حاجبها الأسود:

ـ قد يكون هذا أمراً صعباً تحت الحجارة.. ومن المعيب أن نخسر هذا التاريخ كله.. فقد يكون ذلك اللورد قد خنق حبيبته في هذه البقعة بالذات.

ضحك عالياً فالتوى قلب كاريا ألماً.. أشرق وجهه حين ضحك وأصبح وسيماً أكثر من ذي قبل. مد يده يتناول يدها:

ـ فلنستكشف المكان.. لم تتح لي الفرصة لإلقاء نظرة مناسبة عليه.

ظل يمسك يدها وراح يجرها من غرفة إلى أخرى حتى كادت أنفاسها تنقطع.. وكم حمدت الله لأن المنزل غير واسع كثيراً من



www.elromancia.com

الداخل كما يبدو من الخارج.

قالت:

- إذن.. هناك ست غرف في الطابق السفلي.

كانا مرة أخرى في الردهة يلتقطان أنفاسهما قبل الصعود إلى الطابق العلوي.

أضافت: «وهذه هي الغرفة الوحيدة ذات الأرض الحجرية.. لذا أعتقد أنك تستطيع وضع تدفئة مركزية تحت الأرض في أي مكان آخر، المطبخ، المكتبة، غرفة الطعام، غرفة الجلوس.. وماذا عن الغرفة التي تطل على الشرفة الخلفية؟ لأي غرض ستستخدمها؟»

ضحك ثم أمسك بيدها مرة أخرى:

- غرفة للأولاد.

وحثها نحو الدرج العريض الملتف باتجاه الطابق العلوي.

سألت: أنت.. أنت تخطط لإنجاب عائلة؟

وتساءلت لماذا خفق قلبها وهي تسأل.

- بالتأكيد.. فهذا هو الغرض من وراء المغامرة.

دفع باب أول غرفة في منبسط الدرج وفتحه.. فبهرتهما في البداية أشعة شمس الغروب النارية. سحب غراين نفساً عميقاً من فرط إعجابه بما رأى ثم ترك يدها ليتوجه إلى النافذة.

- غير عادية!

كانت فلول أشعة الشمس الساخطة تشعل أطراف الزجاج على النافذة.. فوقف غراين هناك حيث بدا أسود مخيفاً والزجاج يشع حوله بلهيب برتقالي.

وقفت كاريا حيث تركها قرب الباب وعقدت ذراعيها حول صدرها متوخية الراحة.. في يوم-ما سيقف هنا مع زوجته..



أغمضت عينيها بشدة لتمنع الصورة عن تفكيرها.. أحست بالبرد والعزلة وعرفت أنها لا تنتمي إلى هذا المكان. في رأسه امرأة ما يعدها لمستقبله.. امرأة كانت الحافز لشراء هذا المنزل.. لماذا تمزقها هذه الفكرة؟ إنها لا تريد هذا النمط من الحياة فهو ضد كل ما حاربت في سبيله طوال هذه السنوات.

تمتم بدون أن يستدير:

- كاريا.. أليست هذه أجمل غرفة في العالم؟

أجبرت نفسها على الضحك وقالت بعدم اكتراث:

- أجل.. أعتقد هذا.

ثم ارتدت لتتابع استكشاف ما تبقى في الطابق ولكنها فقدت الاهتمام بما ترى.. لم ينضم غراين إليها لرؤية الغرف الست والحمامات الثلاثة ذات المعدات النحاسية الأصلية والمغاطس التي تشبه أقدامها المخالب.

أمسك بيدها وهي تهم بالنزول إلى الأسفل:

- ما الأمر؟

قالت بصراحة: «ضجرت.. يجب أن نعود الآن.. عليّ إجراء بضع مكالمات وإنجاز بعض العمل المكتبي».

أهذه خيبة أمل التي تراها في عينيه؟ ارتدت على عقبيها لتهبط الدرج بسرعة.. لا.. إنها مخيلتها مجدداً.

انتظرت قرب السيارة ريثما يقفل غراين الباب، نظر نظرة أخيرة إلى الشرفات البارزة ثم استدار ليسير ببطء نحو السيارة..

قالت له: أتعرف.. ليس المكان في حالة سيئة.. تستطيع السكن فيه الآن..

تلاشى صوتها بعدما صوّب إليها عينين باردتين.



www.elromancia.com

دخلا إلى السيارة بصمت وعادا إلى عزبة ريبورن. . حيث تركته كاريا يركن السيارة في المرآب وهرعت إلى غرفتها مباشرة فصفقت الباب وارتمت على السرير.

إنه يتسلل إليها. . هذا الرجل الذي أثر في حياتها بشكل غريب. . ولكنها وجدت ترياقها من قبل وستعتمد عليه مرة أخرى. . العمل هو الترياق.

رن جرس التحضير للعشاء من الردهة. . فصاحت كاريا من باب المكتبة:

ـ اللعنة. . فيونا. . سأتناول طعامي في المكتبة فما زال أمامي أكوام من العمل المكتبي.

ـ لن يعجب هذا السيد برينكلي يا كاريا.

تعالى صوت غراين من أسفل الدرج:

ـ أنت على حق فيونا. . السيد برينكلي لن يعجبه هذا.

أدارت كاريا رأسها بحدة تحدق إليه. . وصدمها أن تراه مرتدياً ثياباً رسمية لا البذلة المستأجرة.

قال بحدة: «أجل. . أنا أملك بذلة سهرة خاصة بي. . وكانت فيونا لطيفة فكوتها لي بعد ظهر اليوم. . شكراً لك فيونا».

ابتسمت له فيونا وأسرعت إلى المطبخ.

ـ أتنوين تناول العشاء بسروال الجينز الذي كنت ترتدينه طوال اليوم؟ لا هذا غير مسموح. لقد بذلت جهدي كما ترين. . وأظن أن عليك حذو حدوي.

عندما همَّت بفتح فمها لترد نظر إلى ساعته:

ـ لديك أربع دقائق لتجترحي معجزة. . سأحتسي شراباً بارداً في أثناء ارتدائك ملابسك.



تجاوزها إلى المكتبة فقاومت تهوراً يكاد يدفعها إلى صفع وجهه. . بعد أربع دقائق عندما انضمت إليه في المكتبة قالت:

ـ لقد غيرت ملابسي من أجل فيونا.

طافت عيناه الرماديتان بإعجاب على الفستان الحريري البرونزي الذي ارتدته بسخط بسبب الأوامر التي تلقاها في بيتها.

قال مبتسماً وهو يقدّم لها كوباً من المرطبات:

ـ يا للأسف. . كنت أود أن أظن أنك بذلت جهدك من أجلي.

ردت بابتسامة حلوة سرعان ما تلاشت ما إن ارتفعت يده التي عمدت إلى فك الملقط الذي يلتقط شعرها في قمة رأسها، وتهادى الشعر الحريري الأسود متمرغاً على كتفيها.

قال برقة: «هكذا أفضله».

رفعت رأسها بنحد ثم هزت شعرها المتدرج طبقات ليستقر بطريقته الخاصة. . وابتسمت:

ـ هل هكذا أفضل؟

احتست ما في كأسها دفعة واحدة ثم أمسكت ذراعه:

ـ هل نذهب لنجتر معاً. . ؟

أحنى رأسه ليعانقها بطريقة ملؤها السخرية.

عندما كانا يخطوان إلى غرفة الطعام الأنيقة قال:

ـ لقد تصرفت بحرية إذ طلبت إلى جيليس أن يشعل النار هنا. . فبعد حرارة الشرق أشعر كثيراً ببرد انكلترا.

ردت ساخرة: «ونحن لا نريد إفساد تجدد خلاياك».

ولم تدهش حين جلس في مقعد أبيها على رأس المائدة بعدما أجلسها إلى يمينه.

ـ كما أنني أعاني من سوء الهضم نتيجة الإفراط في السخرية. .

لذا لا تفسدي عليّ عشائي.. أتسمحين؟

ردت بمكر: «يحترق قلبي من أجلك».

رأت من فوق الشمعدان الفضي وميض المرح في عينيه فاسترخت.

لم تدرك كاريا مدى جوعها حتى صفّت المقبلات التي تناولتها بنهم.

قال غراين معلقاً:

ـ أحب المرأة التي لا تتردد في طعامها.

ابتسمت لتخنق تورد الإحراج:

ـ إن التجوال في ذلك المنزل البارد هو ما فتح شهيتي.

عبس: «ما الذي أصابك بعد ظهر اليوم كاريا.. لقد عاملتني ببرود».

ليتها لم تذكر المنزل، إذ كيف ستشرح له ما لا تفهمه هي نفسها.

ـ يجب أن تعترف أنه كان بارداً.

ـ لا تراوغي.. فهذا ليس قصدي. لقد أظهرت الحماس في البدء، ثم لما صعدنا إلى فوق فقدت كل اهتمامك!

لم يكن أمامها غير سبيل واحد للخلاص من هذه الأسئلة وهو الكذب كذبة بيضاء.

ـ كنت متعبة.. فالأسابيع الماضية التي قضيناها في التحضير للزفاف كانت مرهقة قليلاً.. ثم كنت أفكر في العمل الذي ينتظرني في المنزل فكان أن تراكم هذا كله فوق رأسي.

بدا راضياً بهذا الرد ثم دخلت فيونا حاملة الطبق الرئيسي.

أردفت كاريا: «أوه.. فيونا.. فطيرة «ويلنغتون» بشرائح



اللحم. إنه طبقي المفضل».

ـ وهو طبق السيد برينكلي المفضل أيضاً وقد طلبه خصيصاً.

وضعت فيونا الطبق على طاولة جانبية وبدأت تقطع الفطيرة الذهبية اللون. كادت كاريا تعلق ساخرة على ما يحب السيد برينكلي وما لا يحب وعلى التأثير الذي يتركه في المنزل كله ولكنها لم تعلق، وكانت مسرورة بهذا.

قال غراين برضى عميق وهو يضع سكينه وشوكته:

ـ إنها أفضل وجبة أتناولها منذ سنوات.

ضحكت كاريا:

ـ أرجو ألا تكون راغباً في خطف فيونا منا ما إن تستقر في منزلك. الواضح أنها تعلقت بك.. لكن حذار فوالدي لن يفترق عنها ولو ملكته العالم.

تمدد إلى الوراء في كرسيه:

ـ أفهم السبب. إنها طاهية لا مثيل لها، ولكنني أخذت منه الكثير حتى الآن.. ولا أريد حرمانه من مدبرة منزله أيضاً.

ـ أيضاً؟

مرت لحظة تردد قبل أن يجيب:

ـ ضيافته.. استخدام منزله.

لماذا تشعر بأن في الأمر ما هو أكثر غموضاً.. لكن ألا تثير صداقة أبيها معه الغموض؟.. متى يحل يوم الخميس ليوضح لها والدها الموقف الذي لن يوضحه لها غراين برينكلي؟.

سألت فيونا وهي تعود إلى غرفة الطعام:

ـ أتريدان «آيس كريم» صنع منزلي أم كريم كراميل؟

قالت كاريا:

ـ لا شيء لي.

ـ وأنا كذلك فيونا.. وشكراً على العشاء الرائع.

ارتد إلى كاريا: «أترغبين في احتساء القهوة في المكتبة؟»

أيعرف أنها العادة مساء؟ يبدو أن عادات والدها تناسبه.

قالت باستسلام:

ـ أجل، ولمَ لا؟

كان هناك نار تشتعل في مدفأة المكتبة.. ولم تسأل كاريا ما إذا أوقدت النار بناء على تعليماته بل وقفت أمام ألسنة اللهب تدفيء نفسها. أيام آب مشمسة دافئة هذا العام، ولكن عاصفة مفاجئة وسحباً رمادية لطفت الجو تلك الليلة وجعلته بارداً كثيراً.. فهمت ما هو شعوره بعد العيش سنوات في الطقس الدافيء.

قال وهو يناولها فنجان القهوة:

ـ لقد تصرفت بحرية فنظرت إلى عملك وأنت تبدلين ثيابك من أجل العشاء.

وضعت فنجانها على أرض الموقد ودنت من الطاولة:

ـ لا يحق لك ذلك.

إنها غلطتها، كان عليها إبعاد الأوراق قبل الصعود إلى فوق لتغير ملابسها.. وهذا عمل غير جدير بمديرة أعمال خاصة وهي تتعامل مع مصالح الزبائن السرية.. جمعت الأوراق ودستها في حقيبة أوراقها منزعجة من نفسها..

قال: «أنا متأثر جداً.. لديك أساس متين هنا».

ـ أجل.. إنه عمل ناجح.

تناولت فنجان القهوة مجدداً وراحت ترتشفه بحذر.. كانت الغرفة في غاية الهدوء فتمنت لو تدخل فيونا عليهما الآن وبسرعة..



شيء ما كان يحدث.. إنه غراين بالتأكيد.. فهي تشعر بأنها لو أمضت معه المزيد من الأمسيات لاستقرا بسهولة في روتين منزلي. العشاء، تناول القهوة، ومناقشة نتائج اليوم معاً.. لقد أظهر اهتماماً بعملها وهذا هو الفرق بينه وبين أبيها.. والدها يتسامح معها ويصغي إلى ما تقول ولكن نظرته تبقى بعيدة بعيدة بحيث تتساءل عما إذا كان يفهم منها شيئاً.

جلست في كرسي أبيها لتقرأ فسأل:

ـ ما الذي جعلك تمتهنين هذا العمل بالذات؟

استوت في كرسيها قبالته ونزعت حذاءها متسائلة ما قد يقوله لو ردت عليه قائلة: أنت.

ـ وجدت في نفسي ميلاً شديداً له.. كنت دائماً بارعة في الحساب وسحرتني بورصة الأسهم المالية. هذا مجال مثير وفيه تغييرات كثيرة في كل أسواق العالم المالية.. مع أنه كان الخيار الثاني لي.. أردت وما زلت أريد الانضمام إلى شركة أبي ولكنه لا يقبل بهذا أبداً.. يقول إن صناعة الفولاذ عمل غير مناسب لامرأة.. أمنيته الكبرى أن يراني متزوجة لأنجب له أحفاداً.

عبس قليلاً.. فلاحظت كاريا هذا ولكن قبل أن تعلق ابتسم وقال:

ـ السبب أصله «الريفي».

قالت كاريا بدهشة:

ـ أتعرف بهذا؟

ـ لي وله الجذور ذاتها.. في الواقع ينحدر كلانا من ذات القرية التي يسكنها عمال مناجم الفحم.. ولكن لكل منا خلفية عائلية مختلفة قليلاً.

في لهجته مرارة سرعان ما التقطتها كاريا.

ـ ماذا تعني؟

ـ كانت عائلتك من دعائم المجتمع المحترمين.. أما جدي فكان جوالاً، هاجر إلى كندا حيث ولد أبي ولكنه حين كبر تاق لاكتشاف جذوره في انكلترا.. وهناك حدث ما حدث.

قالها بحزن.. فضغطت عليه:

ـ ماذا تعني؟

ـ كنت في السابعة وأخي في التاسعة، حين قتل والدنا في حادثة.. بعد ستة أشهر ماتت أمنا.. انتحرت.

تمتمت كاريا وهي تشيح بصرها عنه:

ـ أنا آسفة.

وهذا يشرح الكثير: السعادة التي منحته إياها السيارة الجديدة، المنزل الكبير الغالي الثمن الذي اشتراه ليؤمن له ولأولاده الاستقرار الذي افتقده في طفولته.. لم ترغب أن تسأله كيف تجاوز وأخاه المحنة المزدوجة.. فالوقت مبكر على هذا السؤال ومجال حساس للخوض فيه في بداية علاقتهما.

علاقتهما؟ إنها تعترف بوجود علاقة.

قال بهدوء: «كفى حديثاً عني.. لقد فاجأتني.. كنت أظن أنني سأعود لأجدك متزوجة ولديك أطفال صغار، أو أنك ما تزالين تجربن كالمجانين مع الشلّة المحلية».

ابتسمت: يجب أن أعتبر كلامك إهانة.

ـ ولماذا لم تعتبريه هكذا؟

تنهدت ثم راحت تنظر إلى النار:

ـ هذا الجو الحميم الدافىء يلطف مزاجي.. ثم أعرف أنك لا



تعني ما تقول فعلياً.. بل يعني أنك فكرت فيّ السنوات الماضية.

ليتها لم تقل هذا.. ولكنها مسترخية فعلاً وهذا ما يضع كلمات سخيفة في فمها.

قال برقة وعيناه تحدقان إلى وهج النار:

ـ في كل يوم من أيام حياتي.

نظرت كاريا إليه كاتمة أنفاسها. كان أحد جوانب وجهه ظليلاً والآخر بلون البرونز.. ألها أن تثق بوجه وسيم كهذا؟ ألها أن تصدق أنه كان يفكر فيها في الماضي؟

قالت ببرود: «إن كنت تقول ما تقول بقصد إذابة الجليد الذي في نفسي تجاهك فأعد التفكير مرة أخرى».

نظر إليها وعيناه تبرقان كالذهب بسبب انعكاس اللهب:

ـ أظننت أنني لم أعنِ ما قلت؟

ارتجفت أهدابها السوداء الحريرية أمام صدق لهجته:

ـ كيف.. يمكن أن تكون.. فكرت فيّ؟

اعترف بوقار: «أؤكد لك أنني كنت أفكر بشكل لا إرادي.. لم يكن شكلك يفارق خيالي فهو محفور في ذهني إلى الأبد».

ـ أفضل لو أسمع أن عقلي ما زال محفوراً في ذهنك.

ضحك برقة: «لم تكوني ذات عقل مفكر يومذاك يا حلوتي».

ـ نعم صحيح.. بل كان لي جسد رفضته..

ـ وعن حق.

ـ لقد جرحتني.

ـ جرحت كرامتك؟

وقف بكسل ليتناول من فيونا صينية عليها إبريق قهوة جديد بدون أن يتفوه بكلمة ثم صبها فقدمت فيونا فنجاناً لكاريا التي نظرت



www.elromancia.com

إليها مبتسمة قبل أن تتمنى لهما ليلة سعيدة.

إنها تستمتع بهذا وهي معجبة بغراين برينكلي وتكاد تموت فضولاً لتعرف ما يجري بينهما.

عاد ليجلس في كرسي أبيها وراح يرتشف قهوته مفكراً:

ـ لو قبلت عرضك يومذاك لأنزلت بك ضرراً أكثر فداحة من جرح كرامتك.

ـ على ما أذكر أنني لم أعرض عليك أكثر من عناق.

ضحك: وحواء لم تعرض على آدم سوى تفاحة.. لو فقدت سيطرتي على نفسي ولو قليلاً لهلك كلانا.

رمت رأسها الأسود الشعر إلى الوراء وضحكت:

ـ تبدو بقولك هذا كرجل رجعي متزمت بشكل غريب.

ضحكت ثم أردفت:

ـ غراين! أنا واثقة أن تحديد النسل لم يكن السبب الذي جعلك ترفضني.

ما أسهل أن تتكلم عما حدث الآن وتضحك.

ـ أنت على حق.. لكن كان يمكن أن تحدث كارثة كاريا.. وكنا سنحرق أنفسنا في بحر أسبوع، وما كان سيبقى شيء من تلك العلاقة غير النار المنطفئة.

سألت بشجاعة مدركة أن رده قد يجرحها:

ـ أكان من الممكن أن تنطفىء؟

فهم اليأس في عينيها البنفسجيتين فأجاب:

ـ كان من الممكن أن نكون محظوظين. ولكن الوقت كان باكراً على هذا إذ كان عليّ أن أبرهن قيمتي أمام والدك وأمام نفسي وكان أمامك نضوج كثير.



أسندت رأسها إلى ظهر مقعدها وأغمضت عينيها.. إنه على حق فلقد رحل ليصنع ثروته وبسبب رفضه اندفعت للنجاح في حياتها.. لكن أين يتركهما هذا الآن؟ اعترف أنه يريدها.. نعم وهي تريده أيضاً.. فما الذي يمنعها من المضي قدماً؟ لماذا لا تعيد إحياء الخيالات والأحلام التي عاشت معها طويلاً؟

فتحت عينيها فرأته يراقبها... أشاح كلاهما بصره في اللحظة ذاتها ووجهه نحو لهيب النار التي بدأت تخمد.. إنها خائفة، مترددة، وهو لا يساعدها على اتخاذ القرار.. أجل.. اللعنة عليه.. واللعنة على ذلك المنزل المتصدع الذي اشتراه بل اللعنة على أبيها لأنه معجب به.

دست قدميها في حذائها، ووقفت تقول له:

ـ يجب أن أصعد إلى غرفتي.. لقد انتهت العطلة وسأعود إلى العمل غداً.

ـ أجل.. سأصعد معك.

وضع الحاجز الواقي أمام النار وأطفأ المصباح الصغير على الطاولة.

تركها خارج باب غرفتها، بعدما لثم جبينها مبتسماً ومتمنياً لها ليلة سعيدة.. استلقت في السرير يمنعها الارتباك من النوم.. الليلة استقرا على علاقة لن تكون صعبة التحمل.. فيونا تحبه، ويجب أن تجري حياتهما بسهولة حتى عودة والدها إلى البيت. فلماذا إذن لا تستطيع الاسترخاء والنوم؟ ألأنه هناك في الغرفة التالية؟ سمعت صوت الماء يجري في حمامه، وسمعته يفتح نافذته، سمعته يتحرك في الغرفة.. ثم ران صمت كان أصعب تحملاً.. كيف له أن ينام؟

أي نوع من الألعاب يلعبها معها؟

* * *

## ٦ ـ لا أثق بك!

حلَّ يوم الخميس بشكل مفاجيء على كاريا.. وكان اليومان الماضيان قد مضيا بسرعة إذ انشغلت بالعمل.

ضحكت كاريا مسرورة بما يقوله لها والدها هاتفياً.

ـ كيف حال جوليا؟ أراهن أنها أصبحت بنيّة اللون كالجوز.. سأموت حسداً حين أراها.. هل تقضيان أوقاتاً ممتعة؟

ضحك والدها أيضاً: إنه الفردوس حبيبتي.. أجمل مكان في العالم لشهر العسل.. ترسل جوليا إليك حبها وتقول إن «برايتون» لا تشبه أبداً هذا المكان.. والآن حبي.. كيف حال كل ما في المنزل؟

ـ لا مشاكل أبداً.. ففيونا تدير كل شيء بدقة كالعادة.

ـ وغراين.. هل استقر؟

تنهدت: همم.. غراين.. ما زلت غاضبة منك لأنك رميته على كاهلي بدون أن تحذرني.

ضحك جاك نيكولز:

ـ لا يبدو عليك الغضب.

ـ لقد تجاوزت الصدمة الأولى أبي.. لكنها حيلة قذرة.. كان عليك إخطاري.. لقد أعلمت فيونا ولكنك تركتني أكتشف الأمر بأصعب طريقة.



ـ لقد نسيت حبيبتي..

ـ هذا ما قاله غراين وفيونا.. لكنني لا أصدقه أبداً. اسمع أبي..

أصبحت نبرة صوتها جادة لكن الكلمات علقت في حنجرتها.. إذ بدت الآن الشكوك الدائرة حول أسباب سكن غراين برينكلي في عزبة ريبورن أقل أهمية..

تمتمت:

ـ أوه.. لا يهم.. استمتع بما تبقى من شهر العسل.

ـ هذا ما أنويه.. سأتصل بك في الأسبوع المقبل.

جلست كاريا فترة طويلة وراء مكتبها تفكر في أن هذه المكالمة من والدها بينت مدى الإهمال الذي تعاني منه فهو لم يسألها عن عملها ولا ذكر مصانع نيكولز، بل تملص من موضوع غراين برينكلي.. مررت أصابعها في شعرها ترجعه إلى الوراء.. ولماذا يزعج نفسه؟ إنه في شهر العسل.

دنت من النافذة تنظر إلى الجموع المتوجهة إلى الغداء سعياً إلى أقرب مقهى أو مطعم.. غيوم عطلة المصارف رحلت، الأيام التي حلت عادت إليها الشمس.

فجأة لم تعد ترغب في البقاء هنا، في المدينة الحارة المليئة بالدخان.. سيكون غراين الآن في المنزل يتناول الغداء مع فيونا وساندي في المطبخ.. ساندي، المراهقة السريعة التأثر، سعيدة كفيونا بوجود غراين. منذ ثلاثة أسابيع هددت بترك العمل والحصول على وظيفة في «سوبر ماركت» افتتح مؤخراً في البلدة.. لكنها الآن تلمح إلى استعدادها لتحل محل فيونا حين تتقاعد.

ابتسمت كاريا.. فهي نفسها أصبحت ليّنة العريكة مع غراين



www.elromancia.com

برينكلي.. ليلة أمس لعبا الورق حتى الواحدة من هذا الصباح.. فكان أن نامت أكثر من اللازم وفاتها فطورها المعتاد.. ولكنها لم تغضب لهذا.

سألت سكرتيرتها عبر الهاتف الداخلي:

ـ هل من شيء عاجل بعدالظهر ماري؟

ـ لا شيء أبداً.. أوه.. لدي تقرير عن الشركة التي طلبت مني تقصي أخبارها والواقع أن قراءتها مثيرة للاهتمام. صعود سريع إلى الشهرة.. إنهم يشترون كل المعادن التي يستطيعون الوصول إليها.. ولديهم دعم خليجي.. الأسهم ترتفع وأظن أن علينا الشراء فوراً قبل أن تحلق الأسعار عالياً.

ـ اشتروا.. سأحمل التقارير معي إلى المنزل وسأقرأها وأنا في القطار.

سألت ماري بدهشة: «هل أنت ذاهبة الآن؟»

ـ لدي صداع.

وكان هذا صحيحاً تقريباً.. سببه تأكدها من أن «فاين ميتال» قوة يجب التعامل معها وأن غراين برينكلي على الأرجح واحد من أثرى رجال الفولاذ في المملكة المتحدة.

وهي التي غلبته في لعب الورق بالأمس.. نظرت حالمة من نافذة القطار إلى الحرارة التي يتصاعد سرابها فوق قمم سطوح لندن.

قادت سيارتها ببطء من محطة القطار إلى ريبورن.. لديها الكثير لتفكر فيه خاصة منه تقدّم علاقتها مع غراين.. لقد اقترح عليها قضاء يومي السبت والأحد في منزله على أن يحملا معهما طعاماً، أما سبب هذه النزهة فإلقاء نظرة ثانية على المنزل الكبير من أجل المزيد من التفاصيل، وإذا استمر الطقس على تحسنه فسيعملان



على تخطيط الحديقة والأراضي المحيطة بها. وها هي كاريا تتطلع شوقاً لتكون معه.

حذرت نفسها بثبات.. أنت تعرفينه فعلياً منذ أقل من أسبوع، أما السنوات السبع الماضية فهي محض خيال. في الخيال غراين حبيب نافد الصبر.. أما غراين الحقيقي فيلعب على ما يبدو لعبة الانتظار.. كانت تعرف أنه يشعر بشيء، فهو لطيف ومسلٍ ولكنه لم يقترب منها إلا مرة معانقاً.

خفق قلبها بشدة حالما رأت سيارته متوقفة في الخارج وقربها سيارة «غولف» بيضاء.. زائر؟ إنه لغراين.. فهي لا تكون عادة في المنزل في مثل هذه الساعة.

سألت فيونا التي كانت تقف في الردهة حين دخلت:

ـ أين غراين؟

وكانت في منتصف الدرج حين أدركت أن فيونا لم ترد. فتوقفت.. وبدا على فيونا الحرج:

ـ سيد برينكلي.. إنه.. لديه.. زائر.. إنهما في الخارج.. في مكان ما.

هزت كتفها بعدم مبالاة وتابعت ارتقاء الدرج وقالت:

ـ ربما هو شخص يعمل على إصلاح منزل المزرعة.. لقد فتشنا في صفحات الدليل الخاصة ليلة أمس بحثاً عن مهندس حدائق.

تمتمت فيونا بدون أن تسمعها كاريا:

ـ ولكنها لا تبدو مهندسة حدائق.

غيرت كاريا ملابسها فارتدت تنورة حمراء واسعة من القطن الرقيق، وقميصاً حريرياً أحمر أيضاً وهرعت تنزل الدرج بلهفة فراحت أساورها الذهبية ترن بصوت خفيف.



www.elromancia.com

وجدته على ضفة النهر قرب المنزل الصيفي.. ولكن ذكرى ذلك اليوم الحار الرطب منذ زمن بعيد سمّرتها في مكانها. كان معه فتاة يضع ذراعه على كتفيها والأخرى يشير بها إلى النهر.. إنها جميلة.. عرفت هذا بدون أن ترى وجهها. كان شعرها بنياً أحمر وقوامها مهيباً. وكانت سمراء البشرة، صحيحة الجسم، وملابسها تصرخ بأسم مصمم شهير.. وكانت تقف ملتصقة بغراين حتى يكاد الضوء لا يجد ممراً بينهما.. مزّق ضحكهما قلب كاريا وكأنه منشار قاطع.

تجمّد الذهب في يدها لأنها أمسكته باليد الأخرى غضباً، وارتدت تعدو راكضة إلى المنزل قبل أن يراها. الآن فهمت سبب حرج فيونا.. فمنذ وصول غراين ومدبرة المنزل تنظر إلى تقلب مزاج كاريا باهتمام.. إنها تعرفها منذ نعومة أظفارها وتعرف أنها تقع في حبه.. الآن.. تمنت كاريا أن ترى فيونا ما هو عليه من نذالة فهو لا يختلف أبداً عن الآخرين الساعين إلى التلاعب بالمشاعر.

همست بحدة قبل أن تدخل من باب المطبخ:

ـ أوه.. أكرهك!

ـ كاريا.. حبيبتي!

ـ باري!

رفرفت عينيها بعدم تصديق.. إنه آخر من تتوقع رؤيته، وهو جالس يحتسي الشاي مع فيونا في المطبخ.

نقلت فيونا بصرها من الواحد إلى الآخر وهما يتعانقان بمحبة أخوية.. ثم اتسعت عيناها بالرهبة عندما انفتح الباب الخلفي مرة أخرى ودخل منه غراين وزائرته.. عندما سمعت طقطقة القفل خلفها تعلقت كاريا أكثر من اللازم بباري.



قالت بصوت مائع:

ـ اشتقت إليك باري حبيبي.

ثم ارتدت إلى الوراء تتصنع الإجفال حين تكلم غراين.. وأخذت ترمش بعينيها بحرج زائف.. فرفعت فيونا عينيها إلى السماء ووضعت إبريق الشاي على النار..

قال غراين: تسرني رؤيتك باري. الطقس اليوم أفضل للعب التنس.

رأت كاريا أنها سخرية واضحة فوضعت قدر ما تستطيع من رقة في صوتها:

ـ ومن هذه؟ يا إلهي.. الصفحات الخاصة في الدليل توصلنا إلى العجائب! أليس كذلك؟

كان باري والزائرة يجهلان معنى هذا.. وبدت تعابير وجهيهما حائرة.. مطت فيونا شفتيها أما عينا غراين فضاقتا بشكل مخيف.. سارع إلى تغطية الإهانة ببراعة:

ـ كنت أنا وكاريا نفتش الصفحات الخاصة في دليل الهاتف ليلة أمس بحثاً عن مصمم ديكور داخلي..

حركت كاريا شفتيها قائلة «بستاني».. ولكنه تجاهلها:

ـ الواضح أن كاريا اعتقدت أن مارغريت هي التي اتفقنا على استدعائها.. ولكنها في الواقع سكرتيرتي في المملكة المتحدة، وقد أحضرت لي بعض الأوراق لأوقعها.

مارغريت! سكرتيرته في المملكة المتحدة؟ فقدت كاريا القدرة على الكلام، أما فيونا فاطمأن قلبها وأما باري فصدم.

ـ مارغريت! إنه اسم رائع لسيدة رائعة.

ومد يده محيياً:



www.elromancia.com

ـ باري أوكينور . . سعيد بلقائك .

قالت مارغريت بلكنة أميركية ثقيلة :

ـ انها لسعادة لي أيضاً .

وغار قلب كاريا فالواضح أن غراين عرفها في أميركا .

قرأ غراين أفكارها، فقال :

ـ مارغريت كانت تعمل عندي في أميركا . . وهي سكرتيرة ممتازة، جعلني عملها وبراعتها أرسل في طلبها ما إن استقريت .

ابتسم باري وعيناه الزرقاوان الشاحبتان تكادان تلتهمان الجمال الأميركي الأسمر .

ـ لا ألومك أبداً . . فلو تأكدت من الحصول على سكرتيرة مثلها لفكرت جدياً بالحصول على عمل .

حتى كاريا ضحكت فخفت حدة التوتر .

فُتن باري بمارغريت فلم تستطع استغلال وجوده لدفع الغيرة إلى قلب غراين . لم يعد لباري عينان لسوى رؤية مارغريت ومحاولة التأثير فيها بقصص عن السنة التي أمضاها في الكاريبي . . لكن ويا للأسف لم تفارق عينا مارغريت الذهبيتان قسمات وجه غراين .

سألت فيونا كاريا بعد خروج الآخرين إلى الشرفة للاستفادة من الطقس الرائع :

ـ هل سيكون هناك أربعة على العشاء الليلة؟

ردت بمرارة :

ـ لا مجال . .

ـ إذن أنتم الثلاثة؟

انفجرت كاريا :

ـ ماذا تعني ثلاثتنا؟



رفضت فيونا النظر إلى عينيها :

ـ لقد دعا السيد برينكلي السيدة الشابة إلى العشاء .

ـ ماذا فعل؟ كيف يجرؤ؟ كيف يجرؤ؟

هرعت إلى الباب لتقول له رأيها فيه . . لكن فيونا قالت بهدوء :

ـ لو كنت مكانك لما فعلت هذا إذ سيظهر ذلك أنك تعارضين والمرأة على أي حال سكرتيرته .

ـ أتصدقين ذلك؟

هزت فيونا كتفيها ورفعت خصلة شعر فضية عن وجهها .

ـ لا شأن لي في هذا . . لكن لو كنت مكانك لحملته على محمل حسن قبل أن أجعل من نفسي بلهاء .

صاحت كاريا ووجهها متورد غضباً :

ـ عندما أحتاج إلى رأيك فيونا أطلبه منك!

ردت فيونا بهدوء :

ـ افعلي ما شئت . . لكن على أي حال أربعة خير من ثلاثة وأنا واثقة أن باري سيكون مسروراً في إكمال العدد .

قالت كاريا بمرارة :

ـ إذن سيكون هناك شخصان يسيل لعابهما عليها .

رمت فيونا منشفة الشاي من يدها وتمتمت :

ـ افعلي ما شئت . . أصبح رأيي لا يساوي شيئاً في هذا البيت مؤخراً .

اندفعت من الباب المزدوج إلى الخارج ومنه إلى غرفتها حيث خلعت ملابسها بسرعة، وارتدت ثوب السباحة وهي غاضبة، ليتها لم ترجع إلى المنزل باكراً . دست فوق كتفيها منشفة على شكل روب . . لكن ما الفرق؟ فهذه الفتاة باقية هنا . . إن لم يكن هناك ما

يخبئه فلماذا لم يخبرها بقدومها؟ السبب تأنيب الضمير!

كان النهر هادئاً ولكنه بارد. سبحت فيه بقوة لتدفىء نفسها من البرد الذي شعرت به.. ولكنها سمعت غراين يصيح في الوقت الذي تشنجت فيه ربلتها اليسرى.

ـ أيتها الحمقاء ثمة تيار قوي هناك..

كانت قد استدارت لتعود فراحت تركل الماء بساقها اليمنى بقوة.. رفعها غراين على قدميها ما إن وصلت إلى المياه الضحلة.

صاحت به: «أتركني! أعرف هذا النهر أكثر منك».

دفعته عنها ثم وثبت على ساق واحدة نحو العشب، وفي الوقت عينه أخذت تحاول دعك قدمها اليسرى لتتخلص من الألم.

صاح بها:

ـ إذن لماذا لم تلاحظي الدوامة هناك؟ كنت تتجهين مباشرة إليها.

ـ أنا سباحة قوية..

ـ هذا ما يبدو! أصبت بالتشنج؟

انهارت على العشب عند قدميه وطفقت تدلك عضلات ربلتها المتشنجة.

قالت بسخرية:

ـ لا.. بل تبللت ركبتاي.

ركع أمامها وأمسك ساقها.. فرفسته بغضب ولكنه تمسك بها.

ـ أعصابك.. أعصابك! اهدئي وكوني فتاة طيبة.

ـ لست فتاة طيبة.. آه.. أنت تؤلمني!

تلاشى التشنج في لحظة.. إذ عالجت يداه العضلات المتشنجة



فجعلها الارتياح تطلق صيحة ثم تنهار إلى الخلف على العشب الربيعي.

لم ترَه عيناها المغمضتان في وجه الشمس يخفض رأسه لذا صدمت عندما عانقها.. في هذه المرة تشنج قلبها واشتدت عضلاته وكأن كل جسمها على وشك أن يتشنج.. تصاعدت قوتها فدفعته بعيداً عنها، ثم وقفت:

ـ كيف تجرؤ على فعل هذا..؟

أمسك بكاحليها يشدّها فتعثرت ووقعت مجدداً عند قدميه:

ـ أجرؤ!

شهقت لتتنفس ثم راحت تتلوى لأنه أدارها إلى ظهرها وثبتها على الأرض رافعاً ذراعيها فوق رأسها.. ظل مطلاً عليها كالطود وكانت عيناه الرماديتان مسودتين من الغضب وفمه مشدوداً مهدداً.

تلوت بلا طائل:

ـ هل.. القوة هي.. الطريقة الوحيدة.. التي تستطيع فيها.. الحصول على امرأة؟

تحداها:

ـ وهل أنا مضطر لإجبارك بالقوة؟

ـ بكل تأكيد!.. والآن ابتعد عني قبل أن أبدأ بالصراخ طلباً للعون.

ضحك ساخراً: لن يسمعك أحد.. وكم سيكون مناسباً لو عانقتك هنا على هذا المنبسط العشبي حيث بدأ كل شيء.

ـ هه! الأدوار متعاكسة الآن غراين برينكلي.. فأنا من أرفضك!

ـ أنت لا ترفضين شيئاً حلوتي.. لأنني لم أعرض شيئاً.. كنت أبدي ملاحظة.



www.elromancia.com

قاومت وهي تغلي من الغضب ولكن لم يكن هناك جدوى من المقاومة.

سألت: «إذن لِمَ كل هذا؟»

ـ إنه لمعرفة سبب تصرفك الفظ والمتعجرف. أمن المناسب إهانة الغرباء؟

ـ ما قصدك؟

ـ مارغرت.

قلدته:

ـ مارغرت؟ ما هذا الاسم؟ ثم إن شكلها كالاسطوانة..

تركها غير غاضب هذه المرة بل ضاحكاً، جلس إلى جانبها وذراعاه حول ركبتيه يقهقه ضاحكاً. وجلست بدورها تفرك معصميها حيث كان ممسكاً بها تنظر إليه.

تمتمت حانقة: «لا أدري ما المضحك في الأمر؟»

ارتدّ إليها وعيناه تبرقان مرحاً.

ـ أنت تغارين.. وهذا هو سبب تصرفك البغيض. تظنين أنني ومارغريت على علاقة.

توردت كاريا خجلاً.. فلو أنكرت لبدت حمقاء كبيرة فالأمر واضح..

ردت بحدة:

ـ وهل هذا يفسّر سبب فظاظتك مع باري؟

ـ أنا لا أنظر إليه على أنه تهديد لي بل أراه مزعجاً مثيراً للأعصاب.

ـ لكنه صديق طيب.. وقد ترعرعنا معاً وبما أنك ضيف في منزل أبي لا يحق لك إهانة أصدقائي.



ـ لكن لا بأس أن تهيني أنت سكرتيرتي؟

ردت نافدة الصبر:

ـ هذا جدال بيزنطي لا طائل منه.

ـ ماذا تطلبين؟ اعتذار لباري؟

ـ انس الأمر.. أنا لا أفاوض من أجل اعتذار.

ـ لا.. لأنك جاهلة في مثل هذا.

ـ أنا.. جاهلة!

هبّت على قدميها فهبَّ هو أيضاً واقترب منها بعجرفة، فتراجعت.. وقالت:

ـ بإمكانك الاستفادة من بعض الدروس في حسن الأدب.. فمنذ وصولك إلى هنا وأنت تتصرف بفظاظة.

قال بهدوء:

ـ لم أفعل شيئاً من هذا. إذا سألتني فيونا عما أريد للعشاء أذكر لها ما أريد. وأنا آسف إن ظننت أن طلبي إيقاد النار في غرفة الطعام من غير حقي.. في المستقبل سأرتدي جبّة!

ارتد عنها يخطو من فوق روبها ويسير مبتعداً. فنادت:

ـ وماذا.. ماذا عن.. الحمراء التكساسية؟ أعود إلى المنزل فأجدها هنا عن غير سابق إنذار وليس ذلك فحسب بل تتوقع من فيونا أن تطهو لها..

رد عليها بدون أن يلتفت:

ـ سأطلب منها الرحيل.

نادت بهستيريا: «غراين!»

فتوقف وارتدّ ببطء ليواجهها، فقالت:

ـ أنا.. آسفة.



www.elromancia.com

وطأطأت رأسها بارتباك فصاح:

ـ لا تفعلي هذا.. لا تجعليني أشعر بالذنب.

ما إن رفعت رأسها حتى كان واقفاً أمامها، طويلاً، وسيماً، مثيراً للاضطراب.. لا غرابة أن تطعنها الغيرة بسبب رؤيتهما معاً.

سألها وهو يمرر أصابعه على ذراعيها:

ـ أتريدين أن تبقى؟

كانت عيناها بنفسجيتين أكثر من أي وقت مضى، هزت رأسها بقوة.. فضحك ثم تمتم:

ـ كذابة! والآن قولي الحقيقة، هل تغارين منها؟

لم تستطع الرد، وانقبضت حنجرتها بتوتر.. اعتراف كهذا يساوي الاعتراف بأنها تحبه..

أردف: هل يسهل الأمور عليك إن قلت إن دمي يفور حين يُذكر اسم باري أمامي؟

خانتها قواها وهوت كتفاها باسترخاء، وجف الدم من أوصالها.. ما الذي يقوله؟ إنه يحبها؟

همست: إذن.. أنت تغار، وأنا أغار.. فأين يوصلنا هذا؟

قال برقة:

ـ إلى موقف مثير للاهتمام حقاً.

مد يده يرفع رأسها فشبكت ذراعيها حول عنقه، وأخذت تتلاعب بشعره الأسود الحريري ثم ازداد عناقهما عمقاً. هذا ما كان يدفعها إلى الأمام طوال تلك السنوات.. عرفت أنه في يوم ما سيعود إليها.

مرت يداه على كتفيها:

ـ أنت باردة.



وضمها مجدداً فتأوهت وعادت تغمض عينيها.

مد يده يأخذ الروب عن الأرض ويلقيه على كتفيها.. فتمتمت بخشونة باسمه لكنه استقام ولفها بالروب.

عادا ببطء إلى المنزل حيث استقبلتهما في الردهة فيونا التي انتقلت عيناها بينهما، وابتسمت.

ـ قد يسركما أو لا يسركما، أن تعلما أنكما ستكونان بمفردكما على العشاء الليلة. باري أقنع مارغرت بمرافقته إلى لندن، لحضور السينما ولتناول العشاء فيما بعد.

وجهت كلامها إلى غراين:

ـ تقول إنها ستتصل بك في الصباح الباكر ثم تطلب منك عدم نسيان قراءة العقود وتوقيعها.

أدارت ظهرها وأسرعت إلى المطبخ. أما غراين وكاريا فارتدا إلى بعضهما بعضاً ثم قهقها ضاحكين.. ضمها إليه:

ـ أيتها الساحرة.. لقد تمنيت حدوث هذا.. أليس كذلك؟

ضحكت: وأنت؟

قبل أن يردّ رن جرس الهاتف فتوجه إليه.. كان المتكلم أخاه، فتركته كاريا وهرعت إلى غرفتها لتستحم ولكنها كانت أسعد حالاً مما كانت طوال حياتها.

بعد الاستحمام ارتدت جينزاً واسعاً وقميصاً قطنياً.. فالوقت باكر على ارتداء ثياب العشاء. إن لم يكن غراين مشغولاً كثيراً فسيكون أمامهما وقت طويل لمراجعة خرائط البناء لإصلاح منزل مزرعة بيغوت وتحسينه..

أعدت كاريا القهوة قبل أن تنضم إلى غراين في المكتبة.

ـ يريد أخي ويليام وبوسي المجيء لرؤية منزل المزرعة في نهاية



www.elromancia.com

الأسبوع . . فهل تمانعين؟

تناول منها الصينية ووضعها على كومة الأوراق على الطاولة .

ـ حذار . .

ـ لا بأس، هي غير مهمة . . أتمانعين؟

صبت القهوة وهي تضحك بخفة :

ـ إنه منزلك، فلماذا أعترض؟

ـ حسناً، لقد اتفقنا على تناول طعام نزهة هناك . . شخصان يكفيان، أما ثلاثة . . .

ابتسمت : أربعة أشخاص لا بأس بهم إذا كان ذلك مع أخيك وزوجته .

تناولت فنجانها واتجهت إلى النافذة لتجلس على مقعد هناك . أحبت الإحساس بأنها من ضمن عائلته . إنها ترغب في لقاء أخيه وتتطلع شوقاً إلى لقاء بوسي بشكل لائق هذه المرة .

ـ سأطلب من فيونا أن تحضر طعاماً إضافياً . .

لكنها انزعجت عندما رأت غراين يعبث بقلم على الطاولة تاركاً قهوته تبرد . . دنت منه .

ـ أنا آسفة . . لقد أزعجتك في عملك . سأتركك تتم عملك .

انحنت تلثم قمة رأسه بخفة ثم رفعت الصينية عن كومة الأوراق .

فجأة وقعت الصينية بما عليها . . وحدقت كاريا بعينين متسعتين مذعورتين ثم بعينين متقدتين غضباً لأنها رأت تقارير شركة صناعات نيكولز السنوية مكشوفة تحت الصينية .

سرعان ما حطت عيناها على الخزنة حيث يحتفظ والدها بكل مستندات عمله . . وتلوى قلبها ألماً . . كان باب الخزنة مفتوحاً



قليلاً .

قالت وعيناها تجوبان وجهه بشراسة :

ـ ماذا تحسب نفسك فاعلاً؟ كيف . . . ؟

بدا الندم على أساريره :

ـ كاريا . . يمكنني أن أشرح لك .

قاومت كاريا اندفاعاً إلى صفعه لإزالة نظرة الندم عن وجهه . . إنه ليس آسفاً على تجسسه بل على ضبطها له !

ـ أنا واثقة أنك قادر على الشرح وعلى ذكر ذريعة مقنعة لتصرفك الكريه . . لكنني لا أريد سماع أعذارك .

صاح هادراً بغضب متصاعد بسرعة :

ـ أصغي إليّ كاريا !

صاحت هي أيضاً :

ـ لن أصغي ! فلا شيء مما قد تقوله سيرضيني . . أنت ماكر، تسللت إلى ثقة أبي بك . . لكنك لم تخدعني . . كنت أعرف أن هناك الكثير وراء هذا . . وراء إقامتك هنا . . في ريبورن .

قال مختنقاً يتصارع مع غضبه لإخماده :

ـ والدك من دعاني . .

ـ لا شك أنه أصيب بعاهة دماغية ! انتظر فقط حتى أخبره بعبثك بتقاريره . .

ـ إنه يعرف .

هزت رأسها من جانب إلى آخر .

ـ أقسم أنه لا يعرف ! لا تحاول خداعي بهذا . . لقد سئمت حتى الغثيان من سماع مدى صداقتكما الحميمة . . وأنا لا أصدق . . لا أصدق كلمة واحدة . .



www.elromancia.com

دنا غراين منها بخطورة فتوقفت عن إتمام جملتها وكأنه ضربها.

ـ صدقيني كاريا.. لقد أذن لي والدك بمراجعة التقارير.. وبرأيك من أين عرفت أرقام الخزنة السرية؟

ـ هه! لا أستبعد أن تكون قد تلقيت دروساً في فتح الخزن قبل مجيئك إلى هنا.

قفزت وهبت إلى الهاتف:

ـ سأوضح الأمر حالاً وأستريح. سأتصل بأبي..

نزع السماعة من يدها وأبعدها عن متناولها:

ـ لن تفعلي شيئاً!

ـ الآن أنا واثقة أنك تحاول إخفاء شيء. أنت خائف من عودة أبي من شهر العسل لأنه سيفضح أمرك!

مرر غراين يده في شعره:

ـ هذا ما أحاول منعه بالضبط.. لا أريد أن يسرع والدك بالعودة لأن ابنته المجنونة ترفض الإصغاء إلى المنطق.. لا تكوني طفلة مدللة أنانية.. والدك في شهر العسل. أتريدين إفساد سعادته؟

ـ بل أنا واثقة أنه سيشكرني على هذا..

صاح مجدداً: «لن يشكرك! اسمعي.. هذا كله سخيف.. لدي عمل أقوم به وما هذه بمشكلتي بل هي مشكلتك ومشكلة أبيك».

وأدار ظهره إليها:

ـ ماذا.. تعني؟

ارتدّ إليها وعيناه باردتان خاليتان من أي تعبير:

ـ لماذا لا تثبتين لي ولوالدك مدى مهارتك وتعاونك بإظهار



القليل من الصبر؟ عندما يعود يشرح لك كل شيء.. لكن ثقي بي وبه.

ـ كيف أثق بك؟ لقد استوليت على بيتي ووجدتك تقلّب في أوراق أبي.. فماذا يجب أن أظن وأصدق؟

قال ببرود: «لا يدهشني ألا يسمح لك والدك بدخول شركته.. أنت أنثى مثالية لا تصغين أبداً لصوت المنطق.. وتصرخين حين لا تستطيعين تنفيذ ما تريدين...».

ـ أنت من جعلني هكذا.. وأنا لا أدير عملي على ذاك النحو. السبب أنت! أنت لا تريد إخباري بما يجري!

ـ لا أستطيع أن أخبرك.. سأخون ثقة والدك إن فعلت.. أهينيني ما شاء لك ذلك، ولكنني لن أقول لك شيئاً أكثر مما تعرفينه، وهو أن والدك سمح لي بأن أعيش في بيته وبأن أراجع تقارير شركته.. ليتك لم تجديني هنا أعمل عليها.. ولكنك وجدتني.. وأنا آسف لأن لا دليل عندي لأبرهن لك أنني أفعل ما أفعل بمباركة والدك.

تمتمت وقد تلاشى الغضب منها:

ـ ألن تخبرني لماذا؟

ـ لا.. لن أخبرك.

كانت إجابته صريحة ونهائية فعرفت أنها لن تحصل على المزيد منه.. فانحنت تجمع الأشياء المبعثرة وقطع الخزف المكسورة. لم تقل شيئاً وهي ترفع الصينية.. أما غراين فتقدم من وراء الطاولة ليفتح لها الباب بصمت.

رنت تكتكة أسنان القفل كناقوس الموت في الردهة.. منذ وقت قصير كانت سعيدة، أما الآن فقلبها مثقل في صدرها.. لقد



www.elromancia.com

طلب منها أن تثق به وبوالدها.

الثقة بوالدها أمر طبيعي.. أما الثقة بغراين برينكلي فتقتضي قوة إرادة لا تمتلكها.

***



## ٧ ـ الأحلام للأحياء

تجنبت كاريا غراين ما تبقى من الأسبوع، ولكن ما إن حل صباح الأحد حتى حشرها في زاوية بين الرواق والدرج، كانت ذراعاه على الجدار تحجزانها، رافضاً السماح لها بالمرور حتى توافق على مرافقته إلى منزل المزرعة لملاقاة أخيه وزوجته.

قال لها: «تتصرفين كالأطفال».

ـ سأصبح كالأطفال إن دأبت على قول ذلك لي.

أصر: «أنت فعلاً طفلة.. لقد حجزت نفسك في غرفتك..»

ردت: «كنت أعمل..».

لقد كان لديها فعلاً زبائن جدد وهذا ما جعلها تدفن نفسها في العمل.. ونهار السبت عملت في غرفة نومها لتبقى بعيداً عن طريقه.

أجاب:

ـ لا أحد يعمل يوم الأحد كاريا.. فاستريحي ودعينا نقوم بتلك النزهة في بيت المزرعة.

لم تنظر إليه بل حدقت إلى السجادة النبيذية اللون تحت قدميها:

ـ الأمر مختلف الآن.



www.elromancia.com

رفع لها ذقنها: «بسبب شجارنا؟ لأنك لم تنفذي ما أردت؟ هل تغيرت مشاعرك نحوي؟»

قست عيناها البنفسجيتان دفاعاً:

ـ وهل كنت أشعر بشيء تجاهك؟

كانت يائسة بسبب ابتعادها عنه.. نعم لم تجد في الأمر صعوبة عندما كانت منشغلة بعملها أما الآن فيصعب عليها ذلك.

قال: «هذا ما اعتقدته.. عندما كنا على ضفة النهر توصلنا إلى نوع من التراضي، وتعرفنا إلى مشاعر كل منا تجاه الآخر.. ألم يحصل هذا؟»

ـ ثم أفسدت الأمر.

ـ لأنني لم أفضح سراً هو بيني وبين والدك؟

ـ يؤلمني ألا تثقا بي بما فيه الكفاية لتطلعاني على ما يجري.. أنا أعرف عمل أبي، وإذا كان هناك ما تريد أن تعرفه فأنا قادرة على إخطارك به، ولا داعي للبحث في هذه الوثائق القديمة.. بل لا أعرف لماذا تلجأ إليها. هل يساعدك أبي على إنشاء شركة جديدة؟ هل ستعمل معه؟ لماذا لا تخبرني؟

هوت يداه من الجدار إلى كتفيها:

ـ كاريا.. حلوتي.. ليس عليّ أنا أن أخبرك بما يجري.. سبق أن قلت لك هذا.. يجب أن تكلمي والدك حين يعود.

ربما كانت غير منصفة قليلاً في لوم غراين على كل شيء.. فوالدها يخفي أشياء عنها.. لم يبحث قط الأعمال معها وكل ما تعرفه تكتشفه بنفسها.. وخطر لها أن غراين يحاول إقناع أبيها ببيعه بعضاً من شركات نيكولز، ولكنها صرفت النظر عن هذه الفكرة بسبب جاذبية مؤسسة والدها المتّحدة فلن يفكر أحد حتى غراين



بمثل هذا!

سألت: «وهل تظن أنه سيخبرني بما يجري؟»

اسودت عيناه: «من الأفضل أن يخبرك، لا أتحمل رؤيتك منزعجة هكذا. أعرف أنك تحبين أباك ولكنه قادر أحياناً على إثارة السخط بعناده..».

قاطعته: «لا حاجة بك إلى إعلامي بذلك!»

حافظت على كبريائها فهي لا تريد أن يرى كم جرح والدها كرامتها عميقاً الآن أو في الماضي.. فلم يكتفِ بعدم إخطارها بإقامة غراين في العزبة بل تعدى ذلك إلى عدم ذكر شيء عما يجري.

تمتمت: «من الأفضل أن ننسى كل شيء حتى يعود».

يكاد هذا الشرخ القائم بينهما لا يطاق وعملها سيعاني من المصاعب إن ظلت غاضبة.

أردفت مبتسمة: أنت على حق.. اليوم هو الأحد والطقس جميل، فلنستفد منه.

ـ هكذا أفضل.. فنحن بحاجة إلى الراحة.. دعينا لا نكدر فيونا أكثر من هذا..

ـ فيونا؟

ـ لا تقولي إنك لم تلاحظي تجهمها مؤخراً؟ إنها تكره رؤيتنا على خلاف.

ضحكت كاريا بخفة: إذن فلنبهج يومها بأخذ سلة الطعام.

نزلا إلى الأسفل متأبطي الأذرع فلما رأت كاريا ابتسامة فيونا وجدت سبباً آخر يقنعها بأنها تقوم بالصواب لأنها تضع غموض جاك نيكولز وغراين برينكلي وراءها.

صاحت كاريا تجذب سترتها حولها:

ـ أوه.. المكان بارد هنا.. أعتقد أن علينا تناول الطعام في الخارج تحت أشعة الشمس.

ضحك غراين: «لا مجال..».

ورمى السلة وبراد الثلج إلى الأرض في الردهة الكبيرة:

ـ أريد الاحتفال في بيتي الجديد.

جذبها بين ذراعيه.

ـ تعالي إلى هنا.. فسرعان ما أدفئك.

أوقد عناقهما النيران في قلبها.. فتمسكت به بحب وكأنها تريد لهذا الإحساس بالانتماء أن يدوم إلى الأبد.

تمتم: «أنت أفضل حالاً الآن؟»

ردت بقناعة: «دافئة كالخبز الطازج».

ـ عظيم.. هيا لدينا عمل نقوم به.

دفعته عنها ضاحكة: «إن اعتقدت أنني قد أقتلع الأعشاب الضارة معك فأعد التفكير ثانية.. أنت بحاجة إلى فريق عمل لهذه المهمة».

ابتسم لها: «لن نفعل شيئاً من هذا القبيل.. فالبستاني سيصل إلى هنا في الأسبوع القادم ولكننا نريد لطعام النزهة أن يكون على مستوى.. أليس كذلك؟ لا يمكن أن نتناول الطعام بدون نار، لذا سنجمع بعض الحطب ونوقد أكبر نار شهدتها المدفأة من قبل».

أمضيا ساعة في الخارج يجولان في الأرض المحيطة.. يجمعان الحطب ويلهوان بأي شيء جديد يربانه.. حديقة خضار مسوّرة كثيفة بالقرّاص ومتشابكة باللبلاب المعترش.. منزل استنبات قديم، مع دالية عنب قديمة تشق طريقها نحو الحرية عبر



ثقوب في زجاج السقف. وكان هناك تماثيل مكسورة لآلهة إغريقية وبركة مهملة تعجّ بزنابق الماء.

تنفس غراين الصعداء: «يا لها من جنة!»

ضحكت كاريا تفكر في حدائق منزلها.. لقد تقبلت جمالها كأمر مسلم به طوال هذه السنوات.. وها هو غراين يجعلها ترى كل شيء بمنظار جديد.. أم لعل الحب هو الذي يزيد من حدة نظرتها؟

عادا إلى المنزل حاملين محملين ووصلا في الوقت المناسب إذ رأيا سيارة تدنو لتقف أمام المنزل.

قال غراين باهتمام:

ـ لقد أحضرا الكلبين معهما.. هل أنت مصابة بالحساسية ضد الكلاب؟

ضحكت: «لا.. ضد القطط فقط».

ورافقته وهو يتوجه ليحيي أخاه وبوسي والكلبين السعيدين بالركض على الأرض المرصوفة بالحصى.

قال غراين بهدوء: «عظيم.. سنقتني بضعة كلاب بعد استقرارنا».

تسارعت نبضات قلبها فهو يتكلم وكأنها جزء من مستقبله.. ولأنه لم يكن لديها وقت لإطالة التفكير.. خبأتها بسعادة حتى وقت آخر.

قام غراين بالتعارف فأسرع ويليام الأسود الشعر الجذاب كأخيه الأصغر يريح كاريا من الحطب الذي تحمله ومال ليلثم خدها بخفة.. فسرها أن ترى أنه مطمئن إليها.

قالت بوسي بخجل:

ـ لم تتح لنا فرصة اللقاء في حفل زفاف والدك.. كان وقتاً

عصبياً عليّ.

ردت كاريا بلطف: «أنا آسفة.. أخبرني غراين.. أرجو أن تكوني الآن أفضل حالاً».

ابتسمت لكاريا: بعد عودة ويليام سيكون كل شيء على ما يرام.

ثم نظرت بذهول إلى المنزل، فسألها غراين:

ـ ما رأيك بوسي؟

وتقدم ليرمي الحطب على الأرض قرب الموقد وحذا ويليام حذوه.. قالت وهي تسحب نفساً متردداً:

ـ لا أدري ما أقول.. إنه.. غريب.. لكن.. أجل.. أجل.. إنه يعجبني كثيراً.

ابتسمت كاريا، وأطلق غراين تنهيدة مبالغ فيها وقال مازحاً:

ـ أصبحنا أربعة نملك مالاً أكثر مما نملك عقلاً.

ضحك ويليام:

ـ تكلم عن نفسك.. فأنا لم أذكر رأيي حتى الآن.

نظر غراين إلى كاريا نظرة معاناة طويلة ولف ذراعه بتملك حول كتفيها.. أخذ ويليام يجول في الردهة الضخمة يلقي نظرة على الكسوة الخشبية ويستمع إلى صوت الخشب الجاف.

أخيراً قال: «في هذا المنزل إمكانيات كبيرة.. أتعلم يا أخي أنك شخص يحصل على ما يريد».

تأوه غراين: «كفى هذا.. هل أعجبك أم لا؟ مع أن رأيك لا يساوي..»

ضحك ويليام مقاطعاً:

ـ حسناً.. حسناً.. أعجبني! لكن قل لي أفي هذا المنزل



جفاف.. فنحن هنا منذ نصف ساعة ولم يقدم لنا أحد شيئاً!

مرت نصف ساعة أخرى من المرح وزع خلالها غراين علب المرطبات الباردة، وشربوا نخب المنزل الجديد.. ثم تأملوا كل غرفة وكان كل واحد يبدي رأيه ويلقي النكات ويضحك.

ثم اقترح غراين إيقاد النار.. ونزل ويليام ليجلب البسط من السيارة للجلوس عليها أما بوسي فذهبت لتتفقد الكلبين.. وقفت كاريا مع غراين في غرفة غارقة بالشمس.

أمسكت بيده تسأله:

ـ أيعني لك هذا المنزل الكثير؟

أمسك يدها بشدة:

ـ سيكون أول بيت حقيقي لي. لقد ترعرعت وويليام في ميتم بل في ثلاثة مياتم.. إذ لم نكن طفلين يسهل رعايتهما.. فنقلتنا السلطات من مكان إلى آخر.. لدى ويليام طبع حاد فهو يفكر بقبضته قبل رأسه.

ـ وأنت؟

ـ وأنا ذو طبع حاد أيضاً. ولكنني كنت أفكر أكثر من ويليام، لذا وضعت غضبي ومرارتي على الرف وتحديتهما فيما بعد في عملي. كنت أرسم الخطط التي لم تكن كلها ناجحة فتعلمت بأصعب الطرق ولكنني تعلمت..

أدارها وهي بين ذراعيه لتواجهه:

ـ كاريا.. أنا لن أفعل ما يؤذيك.. مهما حصل.. صدقيني.

عبست: ماذا تقصد؟

تعالت صرخة ويليام من الأسفل فتشنج غراين وشدّها إليه، وكأنه لا يريد أن يتركها.. ثم تركها بعدما نادى ويليام قائلاً:

ـ لقد أوقدت النار . . فماذا عن طعام النزهة الذي ذكرته لنا؟

قطعت كاريا الغرفة نحو الباب مبتسمة ولكنه ناداها بصوت منخفض فالتفتت إليه:

ـ تعرفين أن هذا المنزل منزلنا أنا وأنت؟

أعمت الدموع بصرها فأسدلت رموشها لكبحها. فهي تعرف ذلك بالتأكيد. . وقد عرفته منذ اليوم الأول. . وستخبره بكل شيء، فيما بعد حين يكونان على انفراد، أما الآن فقد همست:

ـ أجل غراين. . أعرف.

كانت النار تتقد في الموقد الكبيرة. . وكانت بوسي ترتب البسط والوسائد التي جلبها ويليام من السيارة أمام المدفأة الحجرية.

قالت بوسي حالما رأت كاريا تنزل الدرج: «بدأت تمطر، هل من مانع إن أدخلت الكلبين إلى. . . ؟»

ـ أوه بوسي. . أدخليهما بالتأكيد.

كانت فيونا قد حضرت لهم الدجاج البارد والسلطة الطازجة، مع سلطة البطاطا المهروسة بالكريما في وعاء آخر. أفرغت بوسي الأطباق وأدوات الطعام أما ويليام فسكب العصير البارد في أكواب كرتونية.

قالت بوسي: يجب أن تزورانا قريباً. . لدينا منزل رائع على أطراف الغابة.

راحت تتحدث عن منزلها وكاريا تصغي وتنظر إلى غراين الجالس في الناحية الأخرى مستنداً إلى وسادة. . رفع رأسه إليها وابتسم. . ومن ثم فهمت.

أحست أيضاً برغبة في أن يكونا بمفردهما. . نعم ويليام وبوسي رفيقان مسليان وهما عائلة غراين. . لكن. .



فقدت كاريا شهوتها إلى الطعام. . وتصاعد فيها جوع من نوع آخر. . أخذت تأكل الطعام ببطء متجنبة عيني غراين المسلطتين عليها. . حاولت الانضمام إلى الحديث بين الزوج وزوجته ولكنها فشلت فلاذت إلى الصمت، وحطت عيناها على ألسنة النار الملتهبة.

ازدادت حرارة الجو فاسترخى الكلبان عند ساقيها المتقاطعين. في هذه اللحظة لمحت عيني غراين. . كان مسمراً وعيناه تحترقان بالمشاعر التي تعتمل في داخلها. .

أسرتها نظرة غراين. . كانت نظرته ثقيلة حارة ورطبة كذاك اليوم من شهر آب. .

حرك الكلبان ثقلهما، فرفعت كاريا ركبتيها تحتضنهما بشدة وتريح ذقنها عليهما. . انسدل شعرها كالحرير حول وجهها، وكأنه يخفي عن الجميع عدا غراين، ابتسامة سرّية وتحدياً دون كلمات في وجهه. . نظر إلى عينيها غير مصدق، ثم ابتسم بمكر. .

كان الكلبان أول من أظهر التململ فهبت بوسي واقفة:

ـ يجب أن نعود إلى المنزل الآن، الكلبان يحبان الركض في الغابة قبل العشاء. . دعيني أساعدك بتوضيب السلة كاريا.

ـ لا تقلقي. . سنوضب أنا وغراين كل شيء بعد ذهابكما.

عندما أصبحا أمام الباب ارتدت بوسي إلى كاريا:

ـ زورينا قريباً، فبعدما رتب غراين كل الأمور لن يسافر ويليام مرة أخرى. . وسنبدأ بالاستمتاع بالحياة الزوجية المنتظمة.

سألت كاريا بعد ذهابهما:

ـ ماذا تقصد بوسي بالقول بعدما رتب غراين كل شيء؟

أسندها بلطف إلى الباب وأمسك يديها:



arabicelromantic.com

ـ سنكون شريكين في المؤسسة الجديدة التي أنشئها . .

أمسك يدها واقتادها إلى حيث البسط المفروشة أمام النار .

ـ تعالي . . أريد أن أستمتع بعناقك .

احتجت : «غراين !»

ظلت واقفة ، أما غراين فجلس على البسط وصب القهوة في كوب ورقي . . فجأة توترت أعصابها وأخذت مخاوفها تقفز في داخلها .

رفع بصره إليها وعيناه قاتمتان لا غور لهما . مد كوب القهوة إليها :

ـ ألا تحتاجين إلى هذا؟ .

هزت رأسها يبؤس . . إن آخر ما تحتاج إليه هو هدوء مصطنع . . وضع الكوب قرب الموقد ومد يده إليها :

ـ لماذا لا تجلسين؟

ركعت قربه وأمسكت يده ثم رفعت بصرها إلى السقف بارتباك . . فقال بلطف :

ـ أنا أحبك كاريا .

نظرت إليه وعيناها قاتمتان . قالت هامسة : لا حاجة بك إلى هذا القول فهو غير ضروري .

ـ أليس هذا ما تريدين سماعه؟

ـ ألهذا السبب قلته؟

مرر ظهر يده على خدها :

ـ قلت هذا لأنني أقصده ولأنني أريد منك أن تعرفي أنني أهتم بك كثيراً . . أحبك وأريدك . . فماذا تريدين أنت؟

أغمضت عينيها لحظة :



ـ أنا . . لا أريد مجرد . . علاقة عابرة . .

ـ لن يكون الأمر كما تصفين .

ـ لكن . . غراين لم يمض على تعارفنا أكثر من أسبوع . . نعم لقد بدأ تعارفنا منذ . .

ـ منذ سبع سنوات وأسبوع . . أريد أن أتزوجك كاريا . . فهذا ما رغبت فيه دوماً .

ابتسمت : لست مضطراً إلى هذا القول أيضاً .

ـ ألا أقول أبداً قولاً تظنين أنه صحيح؟

تمتمت : «لكنك رفضتني يومذاك» .

جلس يمسك بها ويضمها :

ـ أتخافين أن أرفضك مرة أخرى؟ نحن الآن مختلفان . . يومذاك لم يكن الأمر مناسباً . . أما الآن . .

أبعدته عنها ونظرت في عينيه :

ـ أنا . . أعرف . . لكن . . لم يدخل حياتي أحد . . غراين . . بل بالأحرى لم أدخل إليها أحد . . لم أستطع . . لم أستطع .

قال بلهجة كئيبة : «بسبب رفضي؟»

تنهدت : أترى . . لقد صدمت . . ولهذا أنا خائفة . . لأنني لا زلت . .

ـ آه حبيبتي . . أنا مصدوم بسبب ما فعلته بك ذلك اليوم . . ظننت . .

هزت رأسها :

ـ ظننتني متحررة؟

سحبت نفساً عميقاً :

ـ يجب أن أعترف لك بهذا . لأنني . . لأنني . . أحبك ولأنك



www.elromancia.com

يوماً ظننتني مستهترة.. أما الآن فلا أريد أن تسيء الظن بي مجدداً.. يجب أن أخبرك بهذا.

- كاريا.. لا داعي لإخباري شيء.

- بل أريد.. منذ عودتك وأنت تلمح إلى أنني وباري عشيقان.

- لم يعد الأمر مهماً..

- إنه مهم لي. لقد رأيناك يوم جئت بسيارة الميني العتيقة.. وضحك باري.. ثم التقيتك في الممر قرب المطبخ وكنت تحمل كوب ماء..

قاطعها: وكنت غاضباً.. إذ لم يكن الاجتماع مع أبيك مثمراً، وكنت ترتدين ملابس التنس.

ابتسمت ثم أردفت بهدوء:

- أعتقد أنني وقعت في حبك في تلك اللحظة، في اللحظة التي مررت بي مسرعاً.. وعندما عانقني باري كنت أفكر فيك.. في ذلك اليوم تغير شيء ما بيني وبين باري. فجأة لم نعد ولدين.. وعندما عانقني لم يكن هو.. بل كان أنت، وهذا ما كنت أريده.. أردتك أنت ولم أرد باري.. كنت غاضبة مشوشة، ثم قلت لك كل تلك الأشياء السخيفة، ولأنك كنت هناك أردتك أكثر فأكثر.

هز رأسه متفهماً:

- وخذلتك.. لا أدري كيف أستطعت!

- شعرت أنني رخيصة قذرة.. لم أسمح لباري بمعانقتي إلا لأنني تصورته أنت.. وهذا ما جعلني أحس بأن بي خطباً ما ثم دفعني هذا إلى الإحساس بالذنب. أمضيت سبع سنوات أحلم بك وأنتظرك.

- كان لكلينا أحلام وآمال وفي بعض الأحيان تكون الطريقة



الوحيدة لتحقيقها هي في خيالنا.

اتسعت عيناها: وهل تفعل هذا؟ أتحلم وتتخيل؟

ابتسم يبعد شعرها عن وجهها:

- أجل.. فأنا لم أتمكن قط في السنوات السبع الماضية من إخراج صورة طفلة جميلة من خيالي. أترين.. لي أيضاً خيالي وأحلامي.. والأحلام هي للأحياء حبيبتي.

مال إلى الأمام يلمس وجنتها برقة أزالت كل الشكوك والمخاوف من داخلها.. فتعلقت به وذاب قلبها بين جنبيها، تريده أن يذوب في قلبها إلى الأبد.

شدها غراين إليه وضمها بين ذراعيه يلف دفئه وحبه حولها حتى أحست بالأمان.

* * *

# ٨ ـ المخادع

انشغلا بالعمل في الأسبوعين التاليين ولم يريا بعضهما بعضاً إلا قليلاً . . وفي نهاية الأسبوع جاءت مارغريت إلى العزبة وكان أن أمضت معه ساعات طويلة في المكتبة . . كانت تنوي قضاء عطلة الأسبوع كلها ولكن تدخل باري أنقذ كاريا وغراين من الشجار من أجلها . . كان باري مسحوراً بسكرتيرة غراين فأقنعها بمرافقته معه إلى ناد ليلي ليلة السبت .

سألت كاريا غاضبة وهي ترمي نفسها على أريكة قرب مدفأة المكتبة :

ـ أهكذا سيكون الحال دائماً؟

كانت قد تأخرت تلك الليلة كذلك إنما ليس بخيارها، بل على يد زبون حضر متأخراً وعن غير موعد . إنها إحدى الليالي التي يعمل فيها غراين في المنزل ويتوقع منها أن تعود في الوقت المناسب لتشاركه العشاء . ولكنه تناول عشاءه بمفرده .

سكب القهوة في فنجان ثم قدمه إليها .

ـ أتركي العمل . . فما إن نتزوج حتى يصبح لديك أعمال كثيرة في منزل المزرعة .

ابتسمت : «بدأت تتحدث كأبي» .



ـ لديه بعض الحق . . على أي حال . . فلست بحاجة للعمل .

راقبته يتحرك بغير ارتياح حول المكتبة . . في اليومين الأخيرين كان يبدو مشغول البال على غير عادته . . إنه يرهق نفسه بالعمل وبدأ الإرهاق يظهر عليه .

قالت بحزم : إن تخليت يوماً عن شركتي فسيكون ذلك بمحض اختياري أنا ولن يكون ذلك نتيجة رأي أحد .

سأل بحدة : «هل أنا من بين هذا الـ«أحد»؟» .

تقدمت منه فشبكت ذراعها بذراعه وأسندت رأسها على كتفه :

ـ أنا آسفة حبيبي . . كلانا متعب . . فلنبتعد عن الحديث عن العمل .

لثم قمة رأسها . . فابتسمت وقالت لتغير دفّة الموضوع :

ـ هكذا أفضل . . هذه صورة قديمة لعائلتي . وهذا جدي الذي مات قبل أن أولد . .

تشنج غراين قليلاً . . لم تقصد جرحه فهو شخص بلا عائلة وبلا صور من الماضي .

قالت : «سأعد المزيد من القهوة» .

ـ لا أريد أنا قهوة كاريا . . أريد أن أنام . . والدك عائد إلى المنزل غداً ولدينا الكثير من العمل لننجزه .

عبست ثم دنت منه :

ـ غراين؟ لم أتوقع عودتهما قبل نهاية الأسبوع .

نظر إليها بشيء من الذنب ومرر يده في شعره :

ـ اتصل بي اليوم . . طرأ شيء ما وسيكونان هنا غداً . . أنا آسف . . نسيت أن أخبرك حين وصلت .

صاحت : «نسيت . . ؟ غراين . . كيف تنسى؟»

ـ اسمعي . . لقد اعتذرت، فماذا تريدين أكثر من هذا؟ سفك الدماء؟

ثم تلاشى توتره بالسرعة التي ثار فيها . . فضمها بين ذراعيه :

ـ حبيبتي . . سامحيني .

تأوهت : «أوه . . غراين! أنت مرهق . . أتعرف؟»

ـ وأنت كذلك . . نحن بحاجة إلى الراحة .

تمتم قائلاً إنه ذاهب إلى غرفته وتركها فعللت هذا القلق إلى عودة أبيها .

في الصباح قالت له كاريا وقت الفطور :

ـ لن أذهب إلى المكتب اليوم . . إذ يتوقع والدي وجوليا أن أكون موجودة حين وصولهما .

ـ أما قلت إنك مشغولة كثيراً .

ـ هذا صحيح لكن . .

ـ سأكون موجوداً طوال اليوم، وثمة أمر آخر يتعلق بهما فأنا أظن أنهما سيكونان متعبين كثيراً .

نظرت إلى ساعتها :

ـ أجل . . أعتقد أنك على حق .

نهضت عن مائدة الفطور : «سأحاول العودة باكراً» .

ترددت : «غراين . . هل ستخبر والدي . . برغبتنا في الزواج؟» .

ـ بل سأنتظر عودتك حتى نزفّ إليه الخبر .

وابتسم لها .

غريب . . ولكنها أحست بالتوتر في القطار . . كان يوماً خريفياً مشمساً ذهبياً . . وكان يجب أن تكون في غاية السعادة . . ولكن شيئاً ما كان يتحرك في داخلها . هي تحب غراين . . وهو يحبها . . وهذا



ما لا تشك فيه . لكن منذ ذلك اليوم الرائع في مزرعة بيغوت حين اعترف بحبه لها وهو يبدو مشغولاً .

كان يومها مرهقاً إذ دفعت بعض الاهتزازات في بورصة الأسهم الزبائن إلى الذعر فأسرعت تهدىء روعهم . . ثم خفضت إيطاليا قيمة «الليرة» وساد تشوش مالي بضع ساعات . . وكانت عينا كاريا متوردتين من التحديق في الكومبيوتر ومرهقة .

تركت المدينة وسط ساعة الزحام، وحتى فتحت باب سيارتها في محطة القطار كان الصداع قد سيطر عليها . . قادت السيارة إلى المنزل بسرعة تتوق إلى رؤية والدها وزوجته وتتوق إلى رؤية غراين لتعلن على الملء حبهما واقتراب موعد زفافهما .

كانت سيارة جاك نيكولز الرولز رويس أمام العزبة وهي الدليل على وصولهما . كانت فيونا في الردهة الخارجية تنتظرها حين دخلت ولم يكن على وجهها الابتسامة المعتادة كما توقعت كاريا .

أسرعت فيونا تقول :

ـ جوليا تستريح فوق . . ووالدك والسيد برينكلي . .

ـ ما الأمر؟

فتركت فيونا يديها بألم :

ـ والدك . . بدأ بالهجوم على المسكين ما إن وضع قدمه على أرض المنزل وقد قال أشياء رهيبة . . أوه كاريا . . يجب ألا أنقل الكلام هكذا ولكنني لا أريد منك أن تدخلي عليهما . .

سألت بضعف : «أين هما؟»

ماذا فعل غراين حتى يستحق هذا كله؟

ـ في المكتبة . . إنما لا تدخلي إلى هناك . . فهما يصيحان . . كاريا . . ! لا تفعلي!

تجاهلتها كاريا وأسرعت تبتعد بنفاد صبر، أما فيونا فتأوهت وارتقت الدرج باتجاه غرف النوم.

تسمّرت كاريا أمام باب المكتبة وراحت تشدّ سترتها لتهدىء روعها ولكن لهيب الغضب تعالى في نفسها من والدها.. سمعت أصواتاً غاضبة ملؤها المرارة فهوى قلبها إلى أسفل الدركات.

كان صوت والدها الغاضب يتعالى:

ـ سأجرّك إلى المحكمة لو أضطررت.. لا يحق لك ذلك أبداً.. لقد قلت لك شراكة.. ولم أقل هذا!

ـ أنا آسف لأنك عدت من شهر العسل قبل الموعد المحدد ولكنني بهذا أنقذتك من نفسك. ليس لديك خيار آخر جاك.. لا خيار أبداً. إذا أردت أن تلعب لعبة وسخة معي.. فهيا افعل.. إنما لن يوصلك هذا إلا إلى أذية نفسك وأذية كاريا..

ـ أبعد ابنتي عن هذا!

قال غراين بصوت حاد لاسع:

ـ ليتني أستطيع! بمناسبة ذكر كاريا أسألك لماذا لم تصارحها قبل أن أصل؟ ماذا أملت أن تكسب بإخفاء الأمر عنها؟

صاح جاك: «وما شأنك أنت»؟

ران صمت قصير ثم قال جاك نيكولز بصوت منخفض مهدد:

ـ أكنت تتلاعب بعواطفها؟.

ـ سنتزوج.

بعد الصمت الرهيب الذي ران بذلت كاريا جهدها لتفتح الباب ولكن بلا طائل.. كاد يغمى عليها من الصدمة فأسندت رأسها المليء بالضجيج على إطار الباب.. ثم شتتتها الكلمات التي كانت تسمعها الآن وكاد قلبها يتوقف.



تردد صدى صوت أبيها في حنجرته غضباً:

ـ أيها النذل! حين قلت لك إن الطريقة الوحيدة لتضع يديك السارقتين على شركتي هي عبر الزواج بابنتي، لم أظنّك تقبل التحدي. والآن أخرج من منزلي قبل أن أكرهك على الخروج.

تحركت كاريا بضعف وعمى تجر جسمها إلى المطبخ الذي هو أقرب ملاذ إليها، ووقفت قرب النافذة تهتز من رأسها إلى أخمص قدميها وكانت دموع المرارة تحرق مقلتيها ولا تنهمر ويداها تمسكان بالمغسلة لتدعم ثقلها والغثيان يعتمل في كيانها حتى تقيأت.

كانت يدا فيونا الآمتنان المريحتان هما اللتان أبعدتا يديها عن المغسلة.. فارتمت كاريا بين ذراعيها وراحت تبكي كالأطفال.

لم تقل فيونا شيئاً.. وأخذت تملس شعرها كما كانت تفعل حين كان نظام المربية الشديد يدفعها إلى الهرب إلى شقة فيونا وزوجها.

ـ لا تبكي الآن كاريا.. هس..

شهقت شهقة ملؤها العذاب ثم استقامت فما هي بطفلة.. إنها الآن امرأة ناضجة تدير شركة ناجحة.. مررت أصابعها في شعرها الأسود ورفعت ابتسامة واهنة نحو فيونا.

ـ أنا بخير الآن فيونا.. شكراً لك.. هل لك أن تعدي لي بعض الشاي.. ثم تحملينه إلى غرفتي مع قرصي أسبرين؟ إنما ليس حالاً بل بعد ربع ساعة.

هذا هو كل الوقت الذي يلزمها وربما أقل.. فماذا يمكنها القول لنذل مثله؟

دفعتها قوتها الذاتية إلى غرفته.. لا شك أنه يعمل الآن على توضيب حقيبته ولا ريب أيضاً أنه متوتر.. خشية أن ينفذ والدها

تهديده ويطلق عليه النار.

قرعت الباب ثم دخلت بدون انتظار الرد.

كان يتحدث في الهاتف ويبدو مطمئناً غير متوتر ويقول:

ـ اتصلي بي عبر هاتف السيارة.. فمنذ الآن وصاعداً سأكون في منزل المزرعة.. لا مارغرت.. هذا غير ضروري.. نهاية الأسبوع مناسبة.. أكون قد عدت.. الاجتماع مع مديري شركة نيكولز لن يطول أكثر من يوم.. أجل.. وأنت كذلك.

ووضع السماعة مكانها ثم ارتد مبتسماً.

التهبت عيناها: أكنت ترتب نهاية أسبوع حميمة مع سكرتيرتك؟

تلاشت ابتسامته ودنا منها خطوة:

ـ كاريا..

ارتدت فاصطدم كعب حذائها بالباب.

قالت محذرة:

ـ لا تقترب مني! كنت واقفةً أمام المكتبة وقد سمعت ما يكفي لأكرهك من أعماق روحي.

اسودت عيناه: «ماذا سمعت بالضبط؟»

ـ إنك تريد الزواج بي لتحصل على حصتك من شركة نيكولز.

ارتفع حاجبه الأسود.. وتفرس في قسماتها الغاضبة قبل أن يقول بهدوء وبرود:

ـ أواثقة أنك سمعت جيداً؟

شدت قبضتيها إلى جنبيها بشدة وسحبت نفساً:

ـ لم تكن الكلمات ذاتها إنما شيء يقرب مما قلت.

نظر إلى عينيها لحظات ثمّ دنا من حقيبتيه السوداوين اللتين



رماهما على السرير وفتحهما:

ـ أرى من خلال وجهك وأسمع من لهجتك أن من غير المجدي مناقشتك.

ردت بحدة: «لماذا النقاش ما دام الأمر صحيحاً فما أنت بأكثر من منتهز فرص حقير!»

نظر إليها من حيث كان يجمع ملابسه.

ـ راجعي شجرة عائلتك تجدي منتهز الفرص الحقير الحقيقي.. أما الزواج بك فلا حاجة لي به حتى أحصل على حصة من شركة أبيك.. التي أصبحت لي على أي حال!

رمى حفنة من الملابس في الحقيبتين وعاد إلى خزانة الملابس.. حدقت كاريا إليه مذهولة تقاوم لتسحب نفساً.

ـ ماذا.. ماذا تعني؟

رد بدون أن ينظر إليها:

ـ اسألي أباك!

قطعت الغرفة نحوه صائحة وأمسكت ذراعه بغضب:

ـ لا.. لن أسأله بل أريد سماع كل شيء منك!

انتزع يدها من ذراعه بشراسة وأمسك ذراعها وكاد يهزها:

ـ حسناً، لن تسمعي مني شيئاً! بل ستسمعين القصة القذرة منه هو.. لقد قمت بما كان يجب أن أقوم به وقد قمت به بنظافة وكفاءة.. بثُّ أنا وأخي الآن نملك شركة صناعات نيكولز وإذا كنت راغبة في الحصول على تقرير عما حصل فاطلبي من والدك أن يخبرك!

تركها بشكل مفاجيء جعلها تترنح.

قالت: «كنت أعرف منذ وطئت قدماك هذا البيت أن قدومك لا



www.elromancia.com

يحمل معه خيراً وكانت على ما أظن أسباب والدي وجيهة عندما طردك منذ سبع سنوات.. ما كان الأمر.. ابتزاز؟»

صفق إحدى الحقيبتين يقفلها:

ـ لا تكوني مأساوية هكذا كاريا.

ـ أنت من تسعى إلى أوسكار في التمثيل! كل هذا الغموض والإثارة.. إن كنت لن تخبرني بما يجري فسأخبرك أنا.. فهل أخبرك؟

لم يرد، فازداد سخطها وكأنها أمامه ليست أكثر من ذبابة مزعجة تطن حول رأسه..

أردفت: بطريقة ما.. لا أدري كيف.. ربما بالسحر الذي سحرت به فيونا وسائر العاملين في البيت أقنعت أبي بالسماح لك بالعيش هنا في أثناء غيبته.. ولقد عبثت في خزنته ووجدت كل ما تستطيع أن تجده عن شركاته.. ثم أنت.. أنت..

وقف ويداه على خصره:

ـ أنا ماذا كاريا؟

ـ بطريقة ما.. بطريقة ما.. استوليت على كل شيء.. انتزعت شركات أبي.. و...

ـ وماذا؟

فجأة اغرورقت عيناها بالدموع وابتلعت غصة:

ـ ثم، ولكي تؤمن نفسك.. سعيت إليّ حتى أقع في حبك.

أدركت فجأة أن هذا أسوأ بكثير من أي ضرر فعله بوالدها. لقد أحبته بقوة وقد خانها خيانة عميقة ستحمل معها ندوب جراحها في قلبها إلى الأبد.

أردفت بصوت أعلى من الهمّس بقليل:



ـ لم تحبني قط.. أليس كذلك؟ لقد استغليتني وأغويتني بابتسامتك.. لا تقترب مني!

توقف في منتصف الغرفة ومرر يداً على جبينه..

ـ أرجوك، لا تقولي هذا كاريا.. لا أستطيع التحمل.. لا تسيئي بي الظن.

ـ أنا لا أسيء بك الظن بل بتّ أعرف وأفهم كل شيء الآن.. فأنت لم تقصد أية كلمة حب قلتها لي.. أنا.. أنا التي أحببتك..

وهدج بكاء يائس صوتها ثم أردفت:

ـ وأنت.. جردتني من كرامتي.. قلت لك أشياء.. عن كل من أحسست به نحوك.. ولقد غششتني!

ـ أحبك كاريا.. صدقيني.. فطالما أحببتك وكنت دافعي للنجاح طوال تلك السنوات.

ـ أجل، كي تنجح وتعود لتسلب أبي حياته! سأقول لك شيئاً واحداً آخر قبل أن تغادر هذا المنزل إلى الأبد. كنت أنت دافعي أيضاً فبعدما أهنتني ذلك اليوم على ضفة النهر، تبدلت حياتي وجعلتني أرى نفسي للمرة الأولى وللأسف لم أجدني معجبة بشخصية الفتاة الفاسدة المدللة التي كنت أتحول إليها.. وبسببك عملت ودرست، فقد أردت أن أثبت أنني لست فتاة بلا عقل.. لا أستطيع أن أشرح لك ولكنني شعرت في ذاك اليوم أنك عائد.. ولهذا أردت أن أكون شيئاً ما لك.

أنهت كلامها هامسة ثم شدت نفسها بشجاعة لتستقيم، ورفعت ذقنها بكبرياء:

ـ وشكراً لله لأنني فعلت، فهذا كل ما تبقى لي الآن. كنت رجل حياتي في أحلامي وخيالي.. أما الآن فبتّ أعرف أنك لست سوى



www.elromancia.com

صورة اختلقتها مخيلة فتاة مراهقة . . وأنا أكرهك غراين برينكلي . .

ـ لا تقولي هذا كاريا . .

ـ أنا أكرهك أكثر مما أكره نفسي . . ستطرد من هذا المنزل مرة أخرى ولن يكون هناك مرة ثالثة، فلو اقتربت يوماً مني أو من أبي أو من عزبة ريبورن، لأطلقت النار عليك بنفسي!

وهرعت من غرفته إلى غرفتها حيث رفست حذاءها تخلعه ووقفت قرب النافذة تهتز غضباً وإذلالاً. كان عقلها يرفض التفكير لأنه عجّ بضباب أحمر كثيف.

سمعت قرعاً خفيفاً على الباب فنادت مشوشة:

ـ دعوني . . وشأني . . أنا . . لا . . ابتعدوا عني!

انفتح الباب ودخلت فيونا تحمل صينية الشاي، أما كاريا فانهارت على السرير . . راحت فيونا تسكب الشاي بصمت ثم تسمرت يدها على علبة السكر عندما سمعت صوت صفق باب غرفة غراين . . ولم يتعال صوت آخر حتى أقفل الباب الأمامي، ثم بعد لحظات سمعت صوت إقفال باب سيارة تحرك محركها، ثم ارتفع صدى إطاراتها على الحصى قبل أن تبتعد.

الصمت الذي ران كان أشبه بصمت الموت فتأوهت، ثم جلست بتوتر تدفع شعرها عن وجهها المغرورق بالدموع، ونظرت بتعب ووهن إلى عيني فيونا.

قالت فيونا بلطف وهي تجلس على السرير:

ـ الشاي . . والعطف.

احتست كاريا الشاي ثم ابتلعت قرصي الأسبرين قبل أن تبدأ بإخبار فيونا بكل شيء بدءاً من حبها لغراين وحبه الظاهر وصولاً إلى آمالها وأحلامها . . وأنهت كلامها: لقد خانني . . هو وأبي.



أمسكت فيونا يدها تهدئها:

ـ أنت لا تعرفين هذا بالتأكيد كاريا . . لقد سمعت نتفاً من حديث قد يتم تفسيره على وجوه عدة.

هزت كاريا رأسها يائسة:

ـ ما كان أبي ليرميه خارجاً لولا صحة الأمر. أعرف أنني لا أعرف القصة الكاملة بعد . . ولكنني أعرف ما فيه الكفاية . . رفض غراين أن يخبرني بكل شيء . . وأصر على أن أحصل على المعرفة من أبي. لكن ما الفرق؟ لقد أراد غراين الزواج بي للحصول على شركة نيكولز . . ولم يردني لنفسي . . وإذا لم يكن هذا كافياً فهناك أمر أشد وأفظع هو استيلاؤه على كل ما عمل من أجله أبي وآباؤه من قبل.

تنهدت فيونا تنهيدة عميقة ثم قالت:

ـ لا أكاد أصدق أن السيد برينكلي قد يقوم بما هو خسيس كاريا . . إنه رجل محبوب . .

قاطعتها بمرارة: آه . . بلى . . هذا جزء من سحره الشرير. لقد خدعنا جميعنا.

قالت فيونا: «طالما كنت أجيد الحكم على الشخصيات ولا أظن أن والدك قد انخدع به».

ـ عظيم! وأنا؟ لا شك أنني أكبر حمقاء!

ضحكت فيونا برقة:

ـ لا أقصد هذا . . ولكنه قد يوضح وجهة نظري . . ليس أي منا غبياً كاريا . . اسمعي . . لماذا لا تكلمين أباك؟ إنه مدين لك بتفسير كامل.

ـ ربما لأنني لم أعد أريد سماع المزيد.

وقفت فيونا: «هذا كلام سخيف.. سأجهّز لك حماماً ساخناً لإراحة صداعك.. عندما تشعرين بأنك أفضل حالاً انزلي وتكلمي مع والدك».

نظرت كاريا إليها: «أين جوليا؟»

ـ تستريح.. لقد أزعجها الشجار فأوت إلى فراشها. فهي ليست قوية الشكيمة مثلك وكل ما تريده هو حياة هادئة مع والدك.

ـ شكراً لغراين برينكلي، فهذا ما ستحصل عليه.. ماذا سيفعل أبي الآن؟ كان عمله حياته!

هزت فيونا رأسها وأجابت بصوت قلق:

ـ لا أدري.. هذا ما لا يستطيع غيره الإجابة عنه.

ودخلت إلى الحمام لتملأ المغطس بالماء الساخن.

فيما بعد عندما كانت كاريا جالسة في المياه الساخنة لتريح أوصالها من الألم، سمعت فيونا تتحرك في الغرفة المجاورة إذ كانت تزيل الأغطية عن سرير غراين وترتب الغرفة.. أصبح كل شيء نهائياً.

حين نزلت كاريا وجدت جاك نيكولز في مكانه وراء منضدته في المكتبة.. لقد زال صداعها ولكن قلبها ما زال مثقلاً بالألم.. وما إن رأت أسارير والدها المتجهمة تحت بشرته السمراء القاتمة حتى اشتعل قلبها مجدداً.. أسرعت إليه ثم شهقت باكية واحتضنته.

ـ أوه.. أبي.. أنا آسفة جداً.. لقد سمعتك وأنت تتجادل مع غراين.. أنا ألوم نفسي.. ما كان يجب..

ـ هيا الآن حبيبتي.. لا تزعجي نفسك.. عليّ يقع كل اللوم.. لا أريد أن تتحطمي.

نظرت إليه بابتسامة مشبعة بالدموع:



ـ أنا لن أتحطم.. فلست من سلالة نيكولز بلا جدوى.

تمتم بأسى: «نيكولز.. كان هذا الاسم يعني أشياء..»

ـ وسيبقى.. أبي، أنا لا أعرف كافة التفاصيل، لكنك لن تدعه ينجو بفعلته.. أليس كذلك؟ غشه، خداعه، و..

ابتعد عنها: «لا تكملي كاريا..».

ارتمى على كرسيه ونظر بأسى إلى كومة الأوراق على مكتبه وقال بهدوء:

ـ ليس بمقدوري فعل شيء.

رفعت كاريا ذقنها لتقوي عزيمتها:

ـ نحن عائلة واحدة أبي وسنحارب غراين مهما فعل.

ابتسم متجهماً: «غراين برينكلي من العائلة أيضاً، كاريا».

ترنحت كاريا.. وأمسكت طرف المنضدة.. بعد لحظة طويلة سألت بعدم تصديق:

ـ ماذا تعني؟

نظر إليها بعينين متسعتين متألمتين:

ـ اجلسي حبيبتي.

انهارت على الكرسي ورأسها يدور.

ـ غراين هو ابن عمة لي بعيد.. لا أدري ما أخبرك أو ما سمعته..

ـ لم يخبرني شيئاً.

ـ كان والده جايسون برينكلي ابن عمتي.. جدك تزوج من غابريلا برينكلي، والدة والدة جايسون، هكذا أصبح جدك عم جايسون بالزواج.. أي عم غراين الأكبر.

اتجهت عينا كاريا إلى الصورة على الجدار، وتذكرت تصلب



www.elromancia.com

وجه غراين عندما رأى جدها وكأنه يكرهه.

سألت هامسة: «وما شأن هذا بنا الآن؟»

ـ حسب قول غراين إن شركة صناعات نيكولز له.

ـ كيف يمكن هذا؟ ألأنه أحد أقربائنا يجد أن من حقه الادعاء علينا.. إنه من عائلة برينكلي لا من عائلة نيكولز.. ماذا تقصد «حسب قول غراين؟» هل يكذب؟

قطب جاك نيكولز حاجبيه وشدهما بيده.. فتضاعفت كراهية كاريا لغراين بسبب الألم الذي أنزله بوالدها..

ـ في البداية ظننته كاذباً. لكنه ذكي.. أعترف له بهذا. لقد أبرز كل دليل متوفر لديه ليبرهن عن قرابته.

ـ لكن كيف لم تكن تعرف هذا من قبل؟ أعني، ألم تكن تعلم بوجود عم لك اسمه جايسون وابني عم أبعدا منذ بعيد عن العائلة هما غراين وشقيقه ويليام.

ـ لم تكن العائلتان على علاقة وطيدة.. فشقيق غابريلا عاش في كندا.. ولم يكن هناك اتصال بين العائلتين.. حتى عاد ابنه جايسون إلى جذوره.

ـ ثم مات.. أخبرني غراين أن والده مات في حادثة ثم ماتت أمه بعده بستة أشهر فتربى الولدان في الميتام.

ـ كانت حياتهما صعبة.

وهب عن المكتب ليذرع الغرفة.. نظرت إليه بحدة بسبب قسوة تعابيره.

ـ لا يعطيه هذا الحق بأن يجعل حياتي كابوساً.. اللعنة عليه! اللعنة عليه!

ـ لا بد.. لا ريب أن لديه أسباباً تدفعه للمطالبة.



بدا أنه لم يسمعها وازداد غضبه:

ـ المدعي المغرور! كيف يجرؤ على فعل هذا.. لقد شق طريقه بالخداع إلى منزلي! وطالب بحقه في عملي الذي هو حياتي وتجرأ على التلاعب بعواطف ابنتي.

خفق قلب كاريا خفقة اضطراب.. وقفت تنظر إلى أبيها مترددة. ماذا يظن بها لأنها سلمت قلبها إلى رجل كهذا؟

ارتدّ إليها، وعيناه ضيقتان تنذران بالشر، وارتفع اصبعه مهدداً:

ـ ابتعدي عنه! لا أدري ما كان يجري ولا أريد أن أعرف.. وفري عليّ سماع التفاصيل.. ولكن لا تقابليه ثانية أبداً. أتسمعين؟ إنه رجل عابث مستهتر كوالده.. فإن كنت تحبين وتحترمين والدك فانسي وجوده.. لا تذكري اسم غراين برينكلي في هذا المنزل. أواضح كلامي؟

نظرت إليه وتمتمت:

ـ أجل.. أبي.

ثم ارتدت على عقبيها تخرج من الغرفة مترنحة.

في غرفتها جلست قرب النافذة تنظر إلى الخارج كئيبة، تضم جسمها بذراعيها وكأنها تواسي نفسها.. إنها في الثالثة والعشرين، ولقد مسح والدها لتوه عشر سنوات منها.. أحست وكأنها طفلة تلقت التأنيب على سوء تصرفها وأرسلت إلى غرفتها، ولكن ألم يعاملها والدها دائماً على أنها طفلة فإنكاره عليها حق المشاركة في شركة صناعات نيكولز يساوي القول لها بأنها ليست كبيرة بما فيه الكفاية أو ناضجة.

ولكن ما هذا هو سبب الألم العميق في داخلها.

ما زالت تجهل أموراً كثيرة عن هذا الموضوع وهي تشك في

أنها قد تتلقى المعلومات التي تريد من والدها.. فكلماته الأخيرة كانت مريرة صارمة.. لذا لم يبق أمامها سوى غراين الذي يملك الردود على أسئلتها.

ما زلت أحبه! هذا هو الاستنتاج الذي توصلت إليه مع ساعات الصباح الأولى فلم تتمكن حتى الكراهية والمرارة والغضب من إخفاء هذا.. لم يعرف قلبها السعادة إلا التي مرت بها في الأسابيع الماضية.. والبؤس القادم سيكون قاسياً عليها.. فالحياة بدونه لن تطاق.

تغلب النعاس عليها أخيراً مع دقات الساعة القديمة التي دقت ثلاث دقات رهيبة.. لا شك أن غراين نائم الآن في سرير نقال في مكان ما في الغرفة الغربية في «لايتون غرانج». الغرفة التي كانت ستشاركه إياها في المستقبل لولا خيانته حبها.. ولكن هل أحبها قطُّ؟ سألت نفسها ببؤس.. لا، لم يحبّها قط فلو أحبها لما رضخ لتهديدات أبيها.. ولكان اصطحبها وبدّد ريبتها وشكوكها ومخاوفها..

ولكن عوض هذا كله.. ها هي الآن وحيدة.. وكأنها قارب بلا مجذاف وبلا دفة، في بحر من العذاب.

* * *



## ٩ ـ الثأر أو الحب

رمت كاريا مفاتيح سيارتها على رف الفطور، وصاحت:

ـ أتتصورين هذا؟ إنها هناك! لم يستطع الانتظار!

وصلت فيونا إبريق القهوة بالكهرباء ثم ابتسمت.. فتسارع الدفء إلى وجهها يدل على التوتر الذي مرت به في الأسبوع المنصرم:

ـ رائع.. غضبك هو الخطوة الأولى للخلاص من الكآبة، وهذا يدل على أن هناك حياة تجري فيك.. من كان هناك؟

ـ السكرتيرة.. الآنسة مارغرت «الزفت» نفسها!

ـ لكن اسم عائلتها ليس «الزفت».

ابتسمت كاريا غصباً عنها:

ـ آه.. فيونا.. لا أدري ما أفعل بدونك.

ـ أراك تذبلين من أجل لا شيء.. والآن كلي قبل أن تختفي وكأنك شبح يسكن هذا البيت.. يكفينا شبح واحد.

جلست كاريا على مقعد خشبي مرتفع أمام رف الفطور، وأخذت تعبث بالطعام.

ـ هل من شبح هنا حقاً؟ روح معذبة تنبش المكان؟ أنا لم أره قط.

صنعت فيونا الشاي.. ثم قالت:

ـ ولم يره أي شخص آخر.. ولكن هذه المنازل لن تكون هي



www.elromancia.com

ذاتها بدون فكرة وجود شبح فيها.. والآن لا تحسبي أنك تخدعينني بهذا الاهتمام المفاجيء بالشبح.. وأخبريني ماذا حدث.

هزت كاريا كتفيها بعدم اكتراث.

ـ لا شيء.. حين وصلت إلى منزله رأيت سيارتها في الخارج.. فقفلت راجعة.. لا، لا فيونا لن أرجع إلى هناك.. تعرفين كم من الشجاعة احتجت حتى ذهبت إليه أصلاً.. لن أعود ثانية.

ـ أنت تستخدمين سكرتيرته عذراً كاريا.. تعرفين أن لا علاقة بينهما.. إنها سكرتيرته. نعم هي جذابة ولكن هذا كل شيء.

ـ أعرف.. ولكنها كانت هناك على أي حال.. ولم أستطع الدخول..

رن جرس الهاتف فأردفت:

ـ سأرد أنا فيونا.. لا شك أن جوليا تريد التأكد إن كنت ما أزال في أرض الأحياء.. لقد تلقت هذه المصيبة بشكل سيء.

ـ ألم يكن هذا حالنا جميعاً؟

التقطت كاريا السماعة عن الجدار: «آلو؟»

ـ لم تكوني قطّ بارعة في التراجع بالسيارة.

جف الدم من وجهها ما إن سمعت صوته.

سألت ببرود: «ماذا تريد؟»

ـ بل ماذا كنت تريدين.. لا أظنك خرجت في نزهة فضللت الطريق.

ـ هل رأيتني؟

ـ بل سمعتك.. ولم أفشل في معرفة صاحب هذه السيارة المتراجعة بشكل حاد على الحصى.. ذكريني بأن أعطيك دروساً في



القيادة في وقت ما.

في صوته مرح ولكنه مرح لم يجلب إلا المزيد من الغضب.

أردف: لقد رحلت مارغرت الآن.. وأريد منك أن تعودي.

ـ لن يعجب هذا أبي..

ـ فليذهب أبوك إلى الجحيم.

ـ لا داعي للإهانة..

ـ بعدما تحملت منه في الأيام الثلاثة الماضية فهذا مجرد كلام أطفال.

ـ وهل قابلته؟

ـ كنت معه في المعامل في «نورثومبريا».. ولا أستطيع القول إننا افترقنا صديقين، لكن ما زال عنده أمل.. أراك حين تصلين إلى هنا.

وأقفل الخط.

كادت السماعة تقع من بين أصابعها المخدرة لولا إسراع فيونا إلى التقاطها.

ـ السيد برينكلي؟

ـ الشيطان نفسه.. يريد أن أذهب إليه.

ـ حسناً.. اذهبي.

ليس الأمر بهذه البساطة.. لقد احتاجت إلى أسبوع من بناء الثقة بالنفس قبل أن تقنعها فيونا بالذهاب إليه.. ولكن رؤية سيارة مارغريت هناك أزالت كل تلك الثقة. آه، يجب أن تراه، ولو من أجل إرضاء ذاتها وإقناعها بأن كل شيء انتهى.

إذن لماذا السرعة في القيادة على طرقات ريفية ضيقة؟ السبب هو عناد والدها.. لقد سافر إلى الشمال مع زوجته المطيعة بعدما



www.elromancia.com

رفض إضاعة الوقت في ذكر موضوع غراين برينكلي. ثم هناك سبب آخر.. إنها فرد من أفراد عائلة نيكولز.. ابنة جاك نيكولز الوحيدة.. ولها حقوق. إنها ابنة أبيها، وإن أصابه مكروه لا سمح الله، فهي الوريثة لذا يعتبر خداع غراين برينكلي لوالدها ليخرجه من شركته هو خداع لها وكأنه بذلك ينتزع من تحت قدميها ما هو من حقها.

لم تستطع الترجل من السيارة حين وصلت.. فجلست تحدق من النافذة الأمامية إلى «الغراينج» ذي الأبراج الغريبة والنوافذ الثقيلة.. كادت أعصابها تنهار حين خرج من الباب متقدماً نحوها.

بدا مختلفاً.. وكأن متعة الحياة سلبت منه.. كان سرواله الجينز ملطخاً بالطلاء وكنزته الفاخرة تتدلى من كتفيه العريضتين وشعره الأسود أشعث واسمراره باهت جزئياً.. لقد فعل به هذا أسبوع من تهديم أبيها وهي ليست آسفة عليه.. إنه يستحق المزيد.

ترجلت من السيارة وسارت إليه وهي تدس يديها في عمق جيبي جينزها، لئلا يلاحظ ارتعاشتهما. وكانت أولى كلماتها الوليدة من مزيج مشوش من الخجل والإحراج:

ـ تبدو غير مرتب.

سرعان ما ولّت كل شجاعتها وكأنها جبان يواجه أعداءه.

ـ وأنت أيضاً لا تبدين مشرقة.

كانت قد بذلت جهداً لترتب مظهرها فتبرجت وجعلت شعرها يتطاير بجنون حول وجهها، إنما ليس من أجل التأثير فيه بل لتظهر له أنها ماضية في حياتها بدونه. ولكن ذلك كان بلا جدوى على ما يبدو فإن لاحظت بؤسه فهذا يعني أنه لاحظ هو بؤسها أيضاً.

قالت ساخرة: «شكراً للإطراء»:



سارا معاً إلى المنزل وفتح غراين الباب.. كانت النار تتقد في الردهة فانخلع قلب كاريا من مكانه وتدفقت ذكرى النار التي أوقداها في هذا المنزل.. ولكن هذه المرة مختلفة، ليس بسبب سلة النار الحديدية التي يطقطق الحطب فيها بشدة بل بسبب هذ البعد القائم بينهما.

سألها غراين: «أتريدين القهوة؟»

ـ أجل.. أرجوك.

لم تتبعه إلى المطبخ بل ظلت قرب النار تجلس على صندوق. كانت الصناديق منتشرة في كل مكان.. ولا شك أن أغراضه كلها قد وصلت من الخليج.. أشاحت بصرها تحتقر فضولها..

قال وهو يقدم لها كوب القهوة:

ـ قهوة فورية.. وحليب علب. لم أرتب أمر الحليب الطازج.

ـ أين تنام؟

ـ فوق.. في غرفتنا.

ابتسمت.. هذا ما هو عليه.. قالت بكآبة:

ـ لن أشاركك تلك الغرفة أبداً.

جلس قبالتها على صندوق آخر.

قال ببرود: «بل ستشاركينني بها.. ولا أتوقع من زوجتي أن تنام في غير سريري».

ابتسمت مجدداً إنما بدون مرح، وهزت رأسها:

ـ لن نتزوج أبداً.. ليس بعد الآن.

لف يديه حول كوب القهوة:

ـ سنتزوج.. ولو اضطررت إلى اختطافك وحملك إلى المذبح.

ومض الألم في عينيها:

ـ غراين! لا تمزح هكذا!

ـ ظننت أن هذا سيضحكك.

ـ في وقت كهذا لن يضحكني شيء.. فلم آتِ إلى هنا من أجل سماع نكاتك الطريفة..

ـ لماذا جئت إذن؟ لمزيد من الإساءة؟

ـ ولماذا أزعج نفسي؟ أنت تعرف مدى نذالتك.. ما جئت إلا لأعرف المزيد.. لماذا تظن أن لك الحق في تحطيم أبي وتحطيمي.

ـ هل أنت قلقة على إرثك؟

توردت، فابتسم ساخراً:

ـ لا تقلقي.. لن أخدعك لأسلب منك ما هو حقك.. فهذه عادة عائلة نيكولز ولا أريد أن أكررها.. ستحصلين على حقوقك في الوقت المناسب.

ـ إذا كان هذا سيأتي منك فلا أريده.. لا أريد شيئاً انتزعته عائلة برينكلي منا.

ـ الواضح أن والدك لم يوضح لك كل شيء.

ـ ماذا تعني؟

ـ وهل تصدقينني إن أخبرتك؟

تنهدت بقلق: «أنا مرتبكة كثيراً ولا أعرف ما أصدق.. أشعر بأنني ممزقة من الداخل.. فأنا أحب.. أحب والدي».

ـ وهل تحبينني؟

لم تستطع الرد بل لم تستطع النظر إليه وكان أن نظرت إلى النار وكأنها لهيب الجحيم!

قال: أعرف أن من الرائع التحديق إلى النار، ولكن ألا يمكنك



إجبار نفسك على مواجهتي وإنهاء بؤسي؟

رفعت عينيها إليه:

ـ وهل أنت بائس؟

ـ وماذا تعتقدين؟ أنا أحبك كاريا.. ولا أستطيع العيش بدونك.

ـ لكن.. لكنك لم تعد.. طردك أبي من المنزل فخرجت.. ولا أصدق أنك كنت خائفاً من أن ينفذ تهديده بإطلاق النار عليك.

بدا المرح في عينيه:

ـ لست بطلاً.. لم أصل إلى ما وصلت إليه ليطيح برأسي صناعي متوتر الأعصاب.. لقد سببت له الكثير مؤخراً بحيث بتّ لا أستبعد عنه ارتكاب جريمة.

ـ إذن الأمر صحيح.. أنت تحطمه.

ـ صدقيني كارا.. إن كان هذا يعني أن أخسرك فسأنسحب من هذا العمل القذر كله.

ـ كيف أصدق هذا وأنا أسمع أبي يقول إنه لم يتوقع أن تقبل التحدي وتلجأ إلى الزواج بي من أجل الحصول على شركة نيكولز؟

ـ أوه كاريا، حبيبتي.. كان هذا ما انتزعه مني في فورة غضب منذ سنوات، وتكرر كذلك في فورة غضب مجدداً.. هل تصدقين حقاً أنني قادر على شيء كهذا؟ أتصدقين أنني أستطيع أن أجعلك تحبينني دون أن أحبك؟ أنا يا حبيبتي أرى الأمر مستحيلاً.

مد يده يمسك يدها فكاد دفئه يطيح بها.. سحبت يدها منه.

ـ تصرفت بغرابة قبل وصول والدي. خلتك تشعر بالذنب وظننتك تريد الزواج بي بسبب شركة نيكولز..

اعترف بصدق: «شعرت بالذنب إنما ليس لهذا السبب.. لقد



www.elromancia.com

قلت لي كم ترغبين في مقعد في مجلس إدارة أبيك.. وكنت أعرف أن الأمر مستحيل.. وكان غضبي يتزايد كذلك لأنه لم يقل لك ما الذي يجري.. كان يجب أن يخبرك فمن حقك أن تعرفي. لم أستطع أن أخبرك لأن هذا شأن غير شأني».

ـ ولماذا لم يخبرني.. غراين؟

ـ كل ما أفترضه هو العار.. ليس عاره، بل عار والده.

ـ عار؟ لا أفهم. أريد أن أعرف الحقيقة.. كل ما أعرفه أنكم أقارب لنا بالزواج، وأنك بطريقة ما تؤمن أن شركة صناعات نيكولز هي من حقكم، وأنك تمارس نوعاً من الضغط على أبي.

ـ هذا كل شيء؟

هزت رأسها: «كان غاضباً غضباً شديداً بحيث لم يستطع أن يقول لي المزيد».

ـ أفهم ما يشعر به، لقد جربت اللطف معه منذ سنوات، لكنه زأر كالأسد الغاضب.. وزأرت أنا أيضاً في وجهه.. وقد احتجت إلى سبع سنوات لأضع نفسي في مركز هجوم.. إن أموراً كهذه تتطلب مالاً. في البدء أردت أخذ حصتي فقط، ما هو حق لي ولويليام.. لكن بسبب الطريقة التي جرت فيها الأمور اضطررت إلى أخذ كل شيء..

قوت كاريا عزيمتها:

ـ أنا لا أفهم.

سحب غراين نفساً عميقاً:

ـ سأبدأ منذ البداية.. كان جدك ادوارد نيكولز إدارياً سيئاً فدفع الشركة إلى الاستدانة.. كان العمل يتخبط..

قاطعته محتجة: «لكن جدي كان ناجحاً، لقد بنى الشركة..».



قاطعها غراين: لم يفعل غير إغراق الشركة بالديون، وكاد ينهي أمر أمبراطورية نيكولز إلى الأبد!

وقفت صائحة: «هذا كذب!»

ـ اجلسي كاريا.. فهكذا بالضبط تصرف والدك عندما أخبرته الحقيقة، أظهر السخط والغضب وأنا أفهمه.. حقاً.. فما من أحد يحب أن يسمع كلام السوء عن قريب عزيز.

ـ أعتقد أن هذا سيقودك إلى القول إنني وأبي لسنا أفضل حالاً كذلك؟ لست مضطرة للإصغاء إليك..

صاح وهو يهب على قدميه:

ـ خلت أن هذا ما دفعك للمجيء إلى هنا.. حباً بالله كاريا.. اكبري.. وأصغي إلي.. ولكنني أحذرك.. فما هو آت من القصة أسوأ مما مضى.. أرجوك كاريا.. إن كنت تملكين أية مشاعر تجاهي فاجلسي!

قالت وهي تعود لتجلس فوق الصندوق:

ـ هذا ليس اعترافاً بمشاعري.. هيا.. تابع.. فلا يمكن أن أسمع أسوأ مما سمعت.. لقد جررتني وأبي إلى الوحل.. ومن الأفضل أن ننهي ما تبقى من سلالة نيكولز.

تجاهل كلامها وتابع:

ـ ولد وترعرع والدي جايسون برينكلي في كندا وهناك صنع لنفسه ثروة من تجارة الأخشاب، لكنه لم يكن مستقراً.. فعاد إلى انكلترا ليفتش عن جذوره فالتقى بوالدتي وتزوجها ثم راح يبحث عن فرص عمل جديدة. ووجد هذه الفرص عند خاله، ادوارد نيكولز.. وكان جدك قد ورط الشركة التي استلمها من والده فموّلها والدي بالمال وبالأفكار الجديدة ولكن رغم ذكاء والدي وبسبب تعامله مع

خاله ترك الأمور القانونية جانباً.. أوه.. كان هناك تبادل رسائل.. إنما بدون تقسيم الحصص.. أنا لا أعتقد أن جدك نوى الاحتيال على أبي..

كبتت كاريا صيحة ألم في حلقها وأمسكت رأسها بين يديها.. فلامس غراين ركبتها بخفة:

ـ أنا آسف كاريا.. أعرف أن الأمر صعب، أعرف ولكنه ضروري.

هزت رأسها ورفعته: «تابع».

ـ قتل والدي في حادثة، وهذا ما تعرفينه، حادثة سيارة وذلك قبل أن تسجل أية أوراق قانونية مناسبة.. للأسف لم يستطع جدك مقاومة إغراء عدم الاعتراف بشيء فتابع العمل بمال أبي وبأفكاره مستخدماً إياها وكأنها أفكاره.

ـ أهذا ما قصدته عندما قلت إنك لست منتهز الفرص الوحيد في العائلة؟

هز رأسه إيجاباً وضاقت عيناه ألماً:

ـ أنكر جدك عليّ وعلى أمي وويليام الحياة اللائقة.. وكنا مفلسين إذ لم تكن أمي تملك عقلاً قادراً على إدارة الأعمال.. ولم تكن تفهم كيف أننا في لحظة كنا في بحبوحة من العيش وفي الأخرى لا نملك شيئاً فلم تستطع التحمل وكان أن قتلها هذا.

ـ وأنت.. وويليام أرسلتما إلى ميتم؟

اغرورقت عيناها بالدموع:

ـ أوه غراين.. أنا آسفة.. آسفة كثيراً.

ـ هل بدأت تفهمين؟

هزت رأسها إيجاباً تحاول منع دموعها.. تفكر في طفولتها



المترفة التي لم تحتج فيها إلى شيء..

ـ عندما ينتزع القدر الوالدين بشكل مأساوي تمنى النفس بالأسى وبالصعاب.. كنا ولدين فقيرين لا نملك شيئاً، وبدأنا نكبر ونشب فأصبحنا أقسى شكيمة ثم حين أصبح لنا قوة إرادة، أردنا أن نعرف.. أن نعرف من نحن ومن أين جئنا.. ومن هما الشخصان اللذان نتذكرهما قليلاً.. ويليام قال إنه لا يأبه بهذا.. وتظاهر بالشجاعة.. لكنني عرفت أن الشكوك تتآكله أكثر مني.

ـ لكن كيف عرفت كل هذا؟

ـ استغرقني هذا سنوات طوال فقد كان كل من أبي وأمي وحيداً لأبوين ميتين.. كل ما كان لدي حزمة من وثائق الميلاد احتفظت بها المياتم لنا.. بواسطتها لاحقت أثر العائلة فسافرت إلى كندا، واكتشفت أن والدي كان رجلاً ثرياً. ولكنني لم أستطع أن أفهم كيف خسر ثروته.. فأردت أن أعرف.. كان يجب أن أعرف. عدت إلى انكلترا وبدأت البحث مجدداً.. وحالفني الحظ بلقاء مدير مصرف من البلدة التي ولدنا فيها.. فأخرج لنا بعض السجلات التي أثارت فضولي.. دفعات كبيرة باسم ادوارد نيكولز.

ـ لكن هذا لم يكن كافياً.. ما كنت لتعرف سبب هذه الدفعات.

ـ لم أكن أعرف.. لكن فضولي دفعني إلى رؤية محامين ومقابلة مدبري المصارف وحتى أصحاب المحلات..

ابتسم لكاريا: «الشماليون يلتصقون ببعضهم بعضاً ويراقبون بعضهم بعضاً.. وقد وجدت جاراً عجوزاً تذكر عائلتنا وتذكر المربية الشابة التي كانت تعتني بي وبويليام وتقفيت أثرها حتى «مانشستر».

- وهل تذكرتك؟

- لم تتذكرنا فقط بل كانت تحتفظ بكل أوراق والدي. وكانت قد حاولت تقفي أثرنا لكنها لم توفق لأننا كنا ننتقل من ميتم إلى آخر..

- ألهذه الأوراق شأن بجدي؟

هز رأسه: كنت أريد من والدك أن يعترف بأن لي حصة في شركاته ولكنه أبى قائلاً إنني أفتقر إلى ما يدعمني في المحكمة. هذا ما قاله والدك حين قدمت له الأوراق.

- منذ سبع سنوات؟ يوم.. يوم جئت إلى منزلنا للمرة الأولى؟ حين.. حين طردك؟

- لا.. بل قبل ذلك بسنة.. في «نورثمبريا» دخلت إلى مكتبه بسذاجة ابن الخامسة والعشرين.. وطالبته بحقوقي فضحك عليّ وطلب مني العودة متى حصلت على أكثر من حفنة رسائل لإقناعه بها.

- وبعد سنة عدت؟

- بعد سنة كان معي الوثائق ذاتها التي هي الآن مجرد حفنة أوراق مغبرة.. لكنني في تلك السنة كنت قد درست وعملت في صناعة الفولاذ، نعم لم تكن فترة كافية ولكنني كوالدي كان عندي أفكار واندفاع.. قدمت هذه الأفكار إلى أبيك ظناً مني أنه سيقبلها ويضمني تحت جناحه.. ولا شك أنني كنت مجنوناً.. ظننت أنه لو ضمني تحت جناحه وكسبت ثقته لتشجع بأن يفتش في سجلات الشركة عله يجد أن لعائلة برينكلي الحق في نصيب من أسهمه. لكنه لم يصغ إلى أفكاري وقال إن شركته لا تحتاج إليها.. وفي خضم يأسي، طلبت منه إقراضي مالاً ليساعدني على البدء بعمل ما..



اعتقدت أن هذا أقل ما يفعله لي.

ضحك متجهماً: لكنها كانت القشة التي قصمت ظهر البعير.. فرماني إلى الخارج.

سألت بحيرة: لكنك جئت إلى حفل زفافه.. كنت مدعواً.. وقالت فيونا إنكما كنتما صديقين مقربين وليس ذلك فحسب بل عرض عليك استخدام منزله ما شئت.

- لقد راسلني بعد أشهر على طردي وقال إنه عاملني بقسوة وأبدى إعجابه بروح المغامرة عندي ورغب أن نبقى على اتصال.. وهذا ما فعلته.. تابعنا المراسلة طوال سنوات وأصبحنا صديقين مقربين.. وجاء إلى الخليج ليراني ويرى ماذا أفعل.. وبدا متأثراً.

- ثم عدت إلى انكلترا.. لكن لماذا؟ هل وجد دليلاً على حقك في جزء من أسهم الشركة؟

قطب غراين حاجبيه:

- لا أدري.. كان والدك يلعب أوراقاً مخفية، ولكنه ذكر في إحدى رسائله أنه يعرف أكثر مما يظهره.. لكن الشراكة لم تكن كافية كاريا.. يوم أنكر عليّ والدك حقوقي صممت على القتال.. بطريقة ما سأستعيد ما هو ملكي وملك ويليام.. لم يكن الأمر ثأراً من والدك شخصياً لأنه ليس من أخطأ بحقنا بل والده من دمر حياتنا ومع ذلك لم أستطع أن أنسى أو أغفر.

عبست في وجهه:

- وما زلت غير قادر؟ أما زلت تريد دماره؟

- لا حبيبتي.. ليس هذا.. ليس الآن.. أنا أحبك وأحترم أباك كثيراً ولا أستطيع أذية أي منكما.

- لكنك تؤذينا.. أما قلت لي إنك تريد كل شيء؟

مرر أصابعه في شعره:

ـ إنها الطريقة الوحيدة كاريا.. كان عليّ أن أفعل ما يجب أن أفعل.. كنت أشتري شركات صناعية صغيرة وأبني شركتي الخاصة حتى تصبح قوة لا يقف في وجهها أحد.. لقد تصرفت بطريقة حتى استولي على شركة نيكولز بكل ما فيها.

ـ هذا أمر سخيف، ليس هناك شركة أكبر من شركة نيكولز..

رد بشراسة: «شركتي أكبر وأهم. لقد حشرت والدك في الزاوية ولم يكن لديه فرصة للخلاص».

ـ هذه قسوة!

ـ أحياناً يضطر المرء إلى القسوة ولا مجال للعاطفة في العمل.

وقفت كاريا مرتجفة وأعصابها مشدودة، مشتعلة غضباً:

ـ أنا.. لا أدري لماذا جئت إلى هنا.. أنت شرير.. لعين!

انتزع مفاتيح سيارتها عن الصندوق.

ـ خلتني أحبك.. لكنني كنت مجنونة بلا ريب..

ـ كاريا..!

وقف ومد يده إليها:

ـ لا تلمسني..! لا أريد أن أراك مجدداً!

أمسك معصمها بقوة فآلمها:

ـ لمّا أنتهِ بعد... أعترف أنني في البداية كنت أندفع وراء الثأر.. ولكن الأمور تغيرت حين رأيت وضع الشركة وإلى أين تسير، فاضطررت لهذا.. فإن لم أفعل أنا ذلك فسيفعل شخص آخر.. الشركاء الألمان، أو اليابان..

ـ لا تكن أحمق هكذا..

ـ هذه هي الحقيقة! بعد سنة، سنة واحدة، تنتهي الشركة.. إن



والدك يسير بسرعة إلى أكبر تحطم في..

ـ الشركة كالجلمود! لقد قرأت التقارير السنوية..

ـ وهل قرأت ما بين السطور؟

رمشت عينا كاريا بارتباك.

ـ سمح لي والدي بالاطلاع على هذه الأوراق.. ما كان ليتركني أطلع عليها لو كان خائفاً على الشركة من السقوط.

ـ بالضبط.. لأنه لم يكن يعرف بهذا.. كانت أرباحه تافهة أمام أرباح الشركات الأوروبية الأخرى.. إنه متخلف عنها، قديم الطراز.. ويرفض بعناد الاعتراف بالتكنولوجيا الجديدة، يقول إن الطرق القديمة أفضل.. ويجب أن يعرف مدى خطئه.. أنت تديرين شركة لذا تعرفين ماذا يجب أن تفعلي لتبقى متقدمة على الشركات الأخرى!

تهاوت كتفاها عجزاً وغضت طرفها لأنها تعرف أن كل ما قاله صحيح. تعرف مدى عناد والدها كذلك. فرفضه أن تكون في مجلس إدارته يُظهر أنه غير تقدمي.

شدها غراين بين ذراعيه:

ـ حبيبتي.. أنا آسف.. آسف على كل الحزن الذي أنزلته بك.

تأوهت: أوه.. غراين!

لم تعد واثقة بل مرتبكة تعسة.. إنها تحب هذا الرجل وتكرهه لقيامه بما يقوم به الرجل الآخر في حياتها، والدها.. إنها تفهم مخاوف والدها وغضبه المرير.. وتفهم الآن دوافع غراين وسبب ما قام به. وبناء على قوله هو على حق.. ولكن كيف سيتمكنون جميعاً من العيش مع ما جرى؟ أحست وكأن قلبها منشطر قسمين..

تعلقت بغراين ببأس:



www.elromancia.com

ـ وماذا سيجري لنا؟

ـ سنتزوج بالتأكيد وسيرزق عندئذ والدك كل الأحفاد الذين يتمناهم.

أحنى رأسه تحبباً فقالت:

ـ لن يسمح لنا أبداً.. يجب أن نهرب معاً.. أوه.. وهذا أيضاً أمر ميؤوس منه.. سيقتلك..

ضحك غراين ثم عانقها:

ـ لن نهرب إلى أي مكان حبيبتي.. والدك عنيد لكنه ليس غبياً.

ـ لكن لديه كرامته.

ـ ولقد تركتها له.. هل اعتقدت أنني سأسلبه كل شيء؟ لقد أمضيت ثلاثة أيام شاقة معه في الشمال، واستأجرت فريقاً من الخبراء الماليين لإقناعه بأن خططي للمستقبل صلبة لا شائبة فيها فاقتنع بعد جهد، ووصلت معه إلى تسوية فكان أن ولدت شركة صناعات نيكولز ـ برينكلي.. والدك رئيس مجلس الإدارة في مشروعنا الجديد.

صاحت ودموع السعادة تخفي ابتسامته عنها:

ـ أوه.. غراين.. غراين! لكن.. لكن.. نحن..

ـ تركت هذا لإغواء الأنثى.. زوجته. لقد قمت بما فيه الكفاية لتكدير حياته في الوقت الحاضر.. وأن أخبره بأنني عازم على الزواج من ابنته مهما قال أو فعل يعادل في تأثيره تأثير كومة فحم حجري مشتعل على رأسه. إنه بحاجة إلى تهدئة الآن إنما على يد غير يدي.. جوليا تعرف كم أحبك.. ستقنعه بأنني الشخص المناسب لك.

ـ وهي تعرف كذلك كم أحبك.. وتتصل بي يومياً لتتأكد من



سلامتي.. الواقع أن أفراد المنزل كلهم منزعجون وقلقون علينا. غراين.. أنا.. أنا بحاجة إلى محادثة والدي، أريد أن أعرف مشاعره.

ـ أعرف حبيبتي.. أعرف. إنما ليس الآن. لن يعود إلى المنزل قبل ساعات.

ضحكت: هل سيعود إلى المنزل اليوم؟ أنت أكثر مني معرفة بتحركاته.

ضحك ثم عانقها فغرد قلبها فرحاً.

* * *

استمعت إلى والدها حتى ساعة متأخرة من الليل. أصغت بصبر وتفهم إلى أسباب إخفائه الأمر عنها طويلاً.. لم يكن راغباً في تحميلها العبء.. فكفاه عذاباً أن يكتشف أن والده الذي أحبه واحترمه طوال حياته كان غير شريف. في البدء أغضبته قصة غراين ورفض تصديقها، لكن إصرار غراين جعله يفكر في أنه قد يكون صادقاً بعض الشيء ولكن رغم ذلك منعته كرامته من تقبل الأمر. كرامته هي التي حاربت غراين لسنوات، كرامته هي التي أعمته عن الحقيقة حتى اخترق غراين أخيراً ذلك الجدار الشمالي العنيد.

فهمت كاريا كم كان الأمر صعباً عليه وكم أحس بالدمار والمرارة حين ناوره غراين واستولى على الشركة.. أخيراً اعترف والدها.

لكنها الليلة، ليلة خطوبتها مع والدها وجوليا، توسلت إليه أن يقول الحقيقة، أن يقول إنه يعرف منذ سنوات طويلة أن لغراين الحق في شركة نيكولز..

ـ يجب أن تخبره بأمر الأوراق التي نبشتها أبي.. فليس عدلاً



www.elromancia.com

منعها عنه.

ضحك والدها وغمز جوليا من فوق كتف كاريا:

ـ ستكون له.. سيستلمها مربوطة بشريط أزرق، هدية العرس مني له.. كدت أسلمه إياها في وقت مبكر لولا تعجرفه وتبجحه.

كانوا ينتظرون دخول غراين إلى المكتبة لينضم إليهم احتفاءً بهذه المناسبة الخاصة.

تابع جاك: «لقد أفدته كثيراً حين أجبرته على السفر فأتقن مهنته.. لو أعطيته ما أراد منذ سنوات لما كان بالقوة التي هو عليها الآن.. كنت أعرف أن لديه إمكانيات».

ضحكت جوليا وكاريا. إنها طريقة جاك نيكولز للاعتراف بحل وسطي ليعطي لنفسه الفضل في تصميم غراين واندفاعه.. ما زال والدها عنيداً ولكنه يلين قليلاً.

ـ أظنني سأكون أنا وبرينكلي فريقاً رائعاً.

ضحكت كاريا:

ـ هاي.. وماذا عني؟ أنا من سيتزوج الرجل.. أتعرف هذا!

ومضت عيناها البنفسجيتان مرحاً..

ـ هذا فقط إن أحسنت التصرف حلوتي.

ارتدَّ الجميع ضاحكين حالما دخل غراين المكتبة.. وتراقص قلب كاريا لرؤيته.. إنه وسيم بشكل مدمر ببزته السوداء الرسمية وبابتسامته العريضة. تقدم ليلثم خدها وخد جوليا ثم صافح جاك بحرارة.

صب جاك العصير لغراين.. واقترحت كاريا نخباً:

ـ إنه نخب أناني قليلاً على ما أخشى.. نخبي ونخب مركزي الجديد في مجلس إدارة شركة نيكولز وبرينكلي.

ابتسمت لوالدها:



ـ لقد وافقت على بيع شركتي وفي المقابل وافق غراين على إعطائي مكاناً في مجلس الإدارة.

لم يصدق والدها ما يسمع فهمس متآمراً:

ـ حتى يصل أول طفل لنيكولز وبرينكلي.

أغرق الرجلان بالضحك، وابتسمت كاريا لجوليا ابتسامة معرفة وتمتمت لها هامسة:

ـ سنرى!

قال جاك: والآن فلنذهب إلى العشاء. أعتقد أن فيونا تفوقت على نفسها في هذه المناسبة.. الروائح المتسللة من المطبخ تسيل لعابي.

قال غراين بصوت منخفض بعدما ارتد قليلاً ليفسح المجال لجاك وجوليا ليسيرا أمامهما:

ـ أحبك كاريا..

ابتسمت بمحبة: وأنا أحبك غراين.

تعانقا بوعد سريع لحبهما العميق والالتزام القادم.

تأوه غراين عندما بدأت فيونا بتقديم الحساء بكل فخر.

ـ يا إلهي!

ردت فيونا:

ـ إنه حساؤك المفضل سيد برينكلي.. كاريا هي التي حددت أصناف الطعام.. إنه حساء السمك.

ضغطت كاريا يد غراين من تحت الطاولة، ومالت نحوه تهمس ضاحكة:

ـ هذا لتعرف أن هناك في أسرة نيكولز من لن تستطيع خداعه.. بون ابتيت!



www.elromancia.com